



وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مركز أبحاث الحج
مكة المكرمة

" تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين "

.....

(دراسة تاريخية - ميدانية)

.....

اعداد

د. سليمان عبد الغني مالكي د. سعد الدين أونس

فريق البحث

- ١ - د/ سليمان عبد الغنى مالكي .
- ٢ - د/ سعد الدين اڭنال .

الفريق المساعد :

- ١ - أ - عبد الرحمن محمد على مارية .
- ٢ - أ - عبد رب النبي محمد .

فهرس المحتويات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
مقدمة	١
أهداف المشروع وكيفية نشأته	٤
دور المعمرين والاستعانة بهم في كتابة التاريخ	٧
المبحث الأول : الدراسة التاريخية :	١٥
نبذة تاريخية عن تاريخ الحج وطرقه ومشاكله من كتسبب	
الرحلات وغيرها	١٦
طريق الحج ومشقاته	٢٥
وصف طريق حده - مكة عبر كتب التاريخ والرحلات	٢٧
مكة المكرمة في بداية القرن العشرين الميلادي	٣١
وسائل النقل والتنقل في داخل مكة وبين المدن الرئيسية	٣٣
وسائل تنقلات الحجاج وما كان متبعها فيها ونظام القوافل	٣٤
المتاعب والمشاكل التي كان يواجهها الحاج أثناء الطريق	٣٨
التعدييات على الحجاج	٣٩
وصف الطريق فيما بين مكة والمدينة	٤١
الطريق الفرعي	٤٥
طريق الغابر	٤٦
الطريق الشرقي	٤٧
شكوى الحجاج	٥٢
شكوى حجاج حواف	٦٠

٦٥ المبحث الثاني الدراسة التحليلية :
٦٦	* الحجاج الأفارقة
٦٧	* وصف الطريق
٧٠	* أهم المشاكل التي كانت تواجه ركب الحجيج على هذا الطريق.
٧١	* رحلة العودة والاحتفالات
٧٣	* الحجاج الأفغان
٧٣	* وصف الطريق
٧٥	* مشاكل الطريق
٧٥	* احتفالات العودة
٧٦	* الحجاج الهنود والباكستانيون
٨١	* المعمرون الاندونسيون والماليزيون
٨٢	* مشقات الطريق ومضاعفه
٨٣	* رحلة العودة
٨٤	* الحجاج الاتراك المعمرون
٨٤	* العادات قبل رحلة الحاج
٨٤	* الرحلة من تركيا الي جدة
٨٥	* الرحلة من جدة الى مكة
٨٥	* الحرم الشريف
٨٥	* الخدمات في مكة المكرمة
٨٦	* الخدمات في المشاعر
٨٧	* الرحلة الي المدينة المنورة
٨٨	* الخدمات في المدينة المنورة
٨٨	* العادات بعد العودة من الحج
٨٨	* الهدايا

- * مكة المكرمة كما وصفتها عينة الدراسة المختلفة ٨٩
- * وصف جدة ٩٠
- * طريق مكة - جدة - المدينة ٩١
- ٤ - الخاتمة ٩٢
- ٥ - المراجع ٩٤

.....

مقدمة

ان من المهمات الرئيسية التي يقوم بها مركز أبحاث الحج هي جمع المعلومات الأساسية ذات العلاقة الوثيقة بالحج ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ولقد اهتمت الدراسات الحضارية بالمركز بتغطية بعض الجوانب التي تخص الموضوع تاريخيا وحضاريا ، ومنها تكونت فكرة مشروع تاريخ الحج من خلال أقوال المعمرين .

استهدف هذا العمل اخراج بحث متكامل عن تاريخ الحج من خلال ذاكرة الحجاج المعمرين الذين ينتمون الى جنسيات مختلفة مع الفاء نظرة تاريخية من خلال كتب التاريخ والرحلات ، وكذلك تكوين أرشيف صوتي لدى المركز يحوى معلومات تاريخية عن الحج وطرقه ومشاكله ، وعن العادات والتقاليد التي كانت ومازالت موجودة والتي لها ارتباط وثيق بالحج ومايتعلق به من استعدادات للسفر الى المناطق المقدسة لأداء فريضة مهمة من فرائض الاسلام الخمس .

لهذا الغرض قامك الفريق البحثي بالعديد من المقابلات اجراها مع الحجاج المعمرين بضع سنوات متتالية في مواسم الحج ، بدأت بموسم حج عام ١٤٠٢ هـ وانتهت بموسم حج عام ١٤٠٨ هـ ، وشاركنا في مرحلة جمع معلومات هذا البحث العديد من الأخوة الزملاء ونخص بالذكر د/ شروت حجازي الذي أشرف على الطلبة الباحثين لحج عامي ١٤٠٣، ١٤٠٤ هـ مع اشتراك د/ أحمد نصر ، والأستاذ محمد موسى الذي قام بالاشراف على الطلبة المترجمين أثناء تفريغ وترجمة المقابلات المسجلة على الأشرطة بلغات غير عربية ، والأستاذ جابر السعداوي الذي قام بتصحيح التقارير السنوية الأولية لهذا البحث ، والأستاذين حمدي هاشم وعبد الباسط عطية اللذين ساعدانا في اجراء بعض المقابلات مع حجاج العرب وتفريغها .

وروعى في الحاج المعمر الذي أجريت معه المقابلة الشروط التالية :

- ١ - أن يكون عمره على الخمسين سنة ،
- ٢ - أن يكون قد سبق له أداء الحج قبل مدة زمنية لاتقل عن ثلاثين سنة .

- ٣ - في حالة عدم توافر ماسبق فيمكن إختيار الحاج المعمر من بين الحاج المعمرين الذين لم يسبق لهم أداء الحج ، ولكن توجد لديهم معلومات عن العادات والتقاليد وقصص الحج التي سمعوها من أحد أقربائهم الذين سبق لهم أداء الحج قبل سنوات طويلة .
- ٤ - وفي حالة تعذر الحصول على العينة المطلوبة من قوالبها السابقة فيمكن إختيار المعمر الذي يمكن الاستفادة منه في أخذ المعلومات الخاصة بالموضوع .

لقد قسمنا البحث الى مبحثين رئيسيين هما :

المبحث الأول :: يضم نبذة تاريخية عن طرق الحج والصعوبات التي واجهت

هؤلاء الحاج ووصف الطريق من حدة الى مكة المكرمة ، ثم تناول البحث الحديث عن وصف لمكة المكرمة في القرن العشرين مع التركيز على وسائل النقل في داخل مكة والمدن الرئيسية ، ثم انتقل الحديث فيما بعد عن وصف للطريق من مكة المكرمة الى المدينة المنورة مع ذكر الطريق الثلاثة التي كان يسلكها الحاج .

ثم تلا ذلك الحديث عن ماورد في المراجع من أهم الشكاوى الخاصة بالحجاج مايلاقونه من معاملات سيئة أثناء أدائهم مناسك الحج .

المبحث الثاني :: خصص للحديث عن الجانب الميداني مع بعض نماذج لهذه

المقابلات مع الحاج ، ولقد شمل هذا الجانب على الحاجج الأفارقة والأفغان والهنود والباكستانيين والاندونسيين

والماليزيين والأتراك مبتدئا بوصف للطريق الذي كانوا يسلكونه ،وأهم المشاكل التي واجهت ركب الحاج مع ذكر وصف لرحلة العودة الى الوطن . وختتمت الدراسة ببرنامج للبحث تستعرض أهم النتائج .
ولابد في الختام بأن نعترف بأننا لا بد وأن نكون قد أفرطنا في الحديث في بعض الفصول ،وقد قصرنا في البعض الآخر لأن الكمال لله سبحانه وتعالى وحده ،ونلتزم العذر من الله ثم من القاريء الكريم .

والله من وراء القصد .

الباحثان

- أهداف المشروع وكيفية نشأته .

ظهرت فكرة الدراسة حين اهتم القسم ضمن اهتماماته بجمع العادات والتقاليد المكية وكذلك الحرف اليدوية التقليدية التي ارتبطت بموسم الحج خاصة وعلى مدار العام عامة .

لقد أثرت التغيرات الاجتماعية والعمرانية التي حدثت في مكة تأثيرا كبيرا على هذا الميدان (دراسة الحرف والعادات والتقاليد) فقسم كبير منها قد اندثر ولم يبق منها الا ما يسمع من المعمرين وقسم آخر في طريقه الى الاندثار وقسم ثالث تغير عن ذي قبل إما لمستحدثات تطلبها ضرورة التغير الحضاري وإما لنقص الدور الهام الذي كان يستند اليه في بقائها ولا نستطيع هنا أن نفضل كثيرا بين الحياة الاجتماعية بكل مشتملاتها من عادات وتقاليد وحرف يدوية ذات نمط متميز عرف به أهل مكة منذ القدم .

ولوجود موسم الحج وتتابعه عاما بعد عام منذ ظهور الاسلام نجده يحتفظ على مر العصور ولآن بلامح من الصعوبة ان تتغير ، فكل مسلم في جميع بقاع الأرض يظل يحتفظ في ذاكرته لهذا المكان الطاهر مما سمعه أو قرأه بشتى الذكريات التي أن يمن الله عليه بزيارته وان لم يكن هو فأحد أقرانه أو أحد أفراد عشيرته .

ولهذا يرتبط الموسم بتقاليد مختلفة تختلف باختلاف البقاع التي يأتي منها الحاج الى مكة الى جانب الغرض الديني الذي أتى لتأديته فهو قبل وصوله الى مكة وبعد رحيله منها يسعى قريته أو موطنه يمر بتقاليد توارثها من مجتمعه تحض على هذه الشعيرة دون غيرها وتكاد لا تختلف في جوهرها عن الزمن القديم الا ما تتطلبه الضرورة تمشيا مع المدنية التي تجعل بعض التقاليد تتواري حيث انها لم تكن تفي بالمطلوب ومنها على سبيل المثال لا الحصر وسائل المواصلات التي كان يحضر بها الحاج من موطنه الى مكة ذهابا وايابا .

هذه التقاليد وغيرها ممالا نحيطه علما لتعدده ، من الممكن أن تكون
 رميدا غنيا عن رحلة الحج في القديم بكل ماتحويه من مراسم وتقاليد يحافظ
 عليها الحاج ويعتبر - أحيانا - النزول عن البعض منها من الأخطاء التي قد
 لا تتفق وقدسية الرحلة .

وحين نرجع بالذاكرة الى فترة ليست بالبعيدة نجد طرق الحج ودروبـه
 كطريق ركب الحج اليميني والعراقي والمصري التي لاتدل فقط على طريق السير
 بقدر ماتعنى حياة اجتماعية كاملة ونواحي اقتصادية ولامح عمرانية سواء عن
 طريق الخدمات التي كانت تقدم في محطات الطريق أو المرافق التي زود بها
 الطريق من قبل الدول الإسلامية للوصول الى هذه البقعة المقدسة .

ومن هنا تمخضت فكرة المشروع لمحاولة جمع مادة علمية من خلال المعمرين
 الذين ينفذون الى مكة المكرمة من مختلف بقاع الأرض حاملين معهم الى جانب
 الرغبة في زيارة البيت العتيق - الكثير من ذكريات الأماكن التي عاش ذووهـم
 بها وكذلك المواصلات التي نقلت أسلافهم منذ عشرات السنين وكذلك محاولة جمع
 معلومات عن العادات والتقاليد لحجاج الدول الإسلامية عند تفكيرهم في بدء
 الزيارة . وكذلك هناك هدف آخر هو محاولة تتبع الحال التي كانت عليه مكة
 قبل مدة من حيث الأسواق والصناعات التي كانت تشتهر بها وتشكل سوقا حيوية
 لأهالي مكة وكذلك حجاج بيت الله الحرام الذين يشكلون في الوقت نفسه أكبر
 مستهلك لهذه المنتجات . وكذلك إلقاء نظرة تاريخية على هذا الموضوع من خلال
 كتب التاريخ والرحلات التي زار مكة مؤلفوها وكتبوا عنها .

وبذلك يتكون لدى المركز أرشيف صوتي يحوى معلومات علمية عن العادات
 والتقاليد والاستعدادات للسفر الى الأرض المقدسة ووسائل النقل وأوضاع الطرق
 حينذاك ، والمشاكل والصعوبات التي واجهت الحاج في الطريق وأثناء أدائه

لمناسك الحج والوصف الكامل والتفصيلي لطرق الحج والمدن والقرى والقبائل التي تقع على مدى الطريق وكذلك الوصف الكامل لمدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة من خلال هذه المقابلات مع الحجاج المعمرين الذين سبق لهم أداء فريضة الحج قبل سنوات كانت فيها المواضات وأدوات النقل لا تتعدى الجمال والبغال والحمير. حتى يستفيد من هذا الأرشيف الصوتي أجيال من الباحثين مستقبلاً كما نستفيد اليوم في مختلف المجالات.

دور المعمرين والاستعانة بهم في كتابه التاريخ

تتجلى أهمية دراسة أقوال المعمرين في التجارب التي عاشوها ، أو في وصف الأحداث التي مرت بهم ، أو في الحكم التي حصلوا عليها في أعمارهم المديدة ، فأكسبتهم خبرة أوصلوها للأجيال عن طريق الوصايا التي اتحفوا بها ذويهم^(١) ، أو نصحوا بها قومهم^(٢) ، كما أن الأقوال والأحاديث التي حفظوها ورووها^(٣) لاسيما فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية كأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وخصوصا إذا رويت عن طريق معمر ثبت عدل ضابط ، فانها تعطي لروايته أهمية خاصة .

ومن أقدم من كتب عن المعمرين : المؤرخ المحدث ابن منده في كتابه " ذكر من عاش مائة وعشرين سنة من الصحابة رضي الله عنهم " ^(٤) ، وأبو حاتم السجستاني في كتابه " المعمرون " عرض فيه أقوالهم وحكمهم وأشعارهم وشكاويهم ... الخ .

(١) كتاب المعمرون والوصايا ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ م .

(٢) انظر: على المرتضى، الزهول الخاصة بالمعمرين في كتاب " الفرر والـسدر " ، والراغب الاصبهاني ، كتاب " محاضرات الأدباء " وابن حمدان كتاب " التذكرة " كتاب " المستطرف من كل فن طرف " وغيرهم أمثال ابي الحجاج يوسف البلوى وابن الجوزي والاشبهى .

(٣) انظر كتب الطبقات ففيها نبذة جيدة من أقوالهم .

(٤) انظر " السيوطي ربح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين " تحقيق عدنان احمد مجدد ، دار الوفاء جدة ص ٤١ .

كما أن للامام ابن الفضل جلال الدين السيوطي كتاب " ربح النسرين فيمن
عاش من الصحابة مائة وعشرين (١) " ترجم لهم فيه ترجمة مختصرة وذكر عدد
الأحاديث التي رويها .
وكتابه هذا هو جزء مختصر من كتاب ابن منذه الأنف الذكر .

وتعتبر مخطوطة " المعمرين " الموجودة بمعهد جوته () بالمانيا
من أهم الكتب المصنفة في أخبار المعمرين المحدثين ، وقد نشر الأديب " الياس
عبده قدسي " صفحات من هذه المخطوطة سنة ١٨٨٣ م . (٢)

كما أن مجموع " الروض الأزهر فيمن عاش مائة عام فأكثر " لابن العربي (٣)
احتوى على نبذة جيدة من أخبارهم ، وقد عقد الكثير من المصنفين ممن جاؤوا بعد
أبي حاتم السجستاني فصولا في كتبهم تناولوا فيها ذكر المعمرين وأخبارهم مثل:
كتاب " الفرر والدرر " لعلي المرتضي وكتاب " محاضرات الأدباء " للراغب
الأصبهاني وكتاب " التذكرة لمحمد بن الحسن بن حمدان ، وكتاب " المستطرف في
كل فن مستطرف " لابشيهي وغيرهم أمثال أبي الحجاج يوسف البلوي صاحب كتاب
" الفباء " وأبي الفرج بن الجوزي ، كما أن كتب الوصايا تختوى على نبيذ
من اقوالهم منها :

كتاب " تاريخ العرب الأولية ، للأصمعي ، وكتاب " الوصايا " لأبي حاتم السجستاني ،
وكتاب " الوصايا " لدعبل الخزاعي ، وكتاب " وصايا الملوك وابتداء الملوك "
لأبي الطيب بن اسحاق الوشاء من علماء القرن الثالث الهجري ٠٠٠ الخ .

(١) طبعته دار الوفاء بجدة سنة ١٤٠٥هـ بتحقيق عدنان أحمد مجود .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مكتبة آل المرحوم محمد بن احمد بن العربي ملف ١٥ .

وكلمة " معمر " تعني الرجل الذي طال عمره عند العرب، ولا يعد معمرًا إلا من عاش مائة وست وعشرين سنة فصاعداً، والمعمرون الذين روى أخبارهم السجستاني تتراوح أعمارهم بين مائة وعشرين سنة وبين مائتين سنة. (١) وقد صارت اصطلاحاً لغوياً .

وورد في المعجم الوسيط : عمر الله فلاناً : أطال عمره فهو معمر (٢) . وقد ساهم العديد من المؤرخين القدامى في جمع أقوال المعمرين من أجل التاريخ لمكة المكرمة ، ومن أقدمهم أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي (م . هـ .) رحمه الله الذي نهج منهج المحدثين في توثيق ما يقوله بإدنا كلامه يحدثني أو حدثنا أو " أعطني ... كتاباً ذكر أنه عن أشياخه من أهل مكة فكتبته من كتابه فقالوا ... " (٣) أما مارأه أو عده أو قاسه فانه يكتبه مباشرة بعد عنوان الموضوع الذي يكتب عنه .

أما أبو الوليد الأزرقى ، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٤٧هـ) رحمه الله " فقد اختط لنفسه خطة سهلة سلسة ... عن طريق الرواية المعنونة التي رأى الغربيون أنها أقوم طريق فاتبعوها في مؤلفاتهم مع تبديل طفيف ... " (٤)

-
- (١) أبو حاتم السجستاني ، كتاب المعمرون والوصايا ، ص " ك " .
 (٢) إبراهيم انيس ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط ٢ ، دار المعارف ١٣٩٣ هـ ج ٢ ، ص . وانظر عن مشتقات " عمر " جمهرة اللغة ، ابن دريد (ت ٣٢١هـ) دار المعارف العثمانية خيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ ج ٢ ، ص ٣٨٧ ، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصري دار صادر بيروت ١٣٠٠ هـ ، ط ١ ، ج ٤ ، ص ٦٠ - ٦١ .
 (٣) الفاكهي ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه بتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن درويش مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
 (٤) الأزرقى ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ط ٣ ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٢١ .

وأحيانا كان يصف بنفسه مارآه أو قاسم مبتدئا بقوله : " قال أبو الوليد...".
ثم يصف مارآه أو ذرعه أو عدمه .

أما الشيخ تقي الدين الفاسي ، محمد بن أحمد الحسني المكي (٧٧٥ م ، ٨٣)
رحمه الله فقد كان كثيرا ما ينقل مشاهداته أو مشاهدات جده أو يروى سلسلة
بسنده الى من شاهد الحدث أو الأثر الذي هو بصدد وصفه ، يقول رحمه الله :
" ان نفسى تشوقت الى معرفة ماكان بعد أبي الوليد الأزرقى من أخبار... فعرفت
من ذلك طرفا جيدا ، بعضه من كتب التاريخ التي نظرتها لأجل التراجع ، وبعضه من
أحجار ورخام وأخشاب مكتوب فيها ذلك ، شابتة في بعض الأماكن العشار اليهنا
وبعضه علمته من أخبار الثقات ، وبعضه شاهدته ، وعلقت ذلك في أوراق مفردة
خيفة نسيانه من غير ترتيب ثم بدلت لي تأليف ذلك... ففعلت ذلك " . (١)

أما المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي . القرشي
(٨٥٠ ت ٩٢٢ هـ) فقد اعتمد في تأليفه غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام
على مصادر عديدة كان أهمها كتب والده عمر بن محمد بن فهد (٨١٢ م ٨٨٥ هـ) يقول:
" فجمعتها (أي تراجم اهل مكة) مما اطلعت عليه - بعد الفحص والانتقاس -
وغالبها من تاريخي والدي... " (٢) وقد انفرد بالتاريخ للحقبة التي عاصرها
وعايش أحداثها وهي الفترة التي تلت وفاة والده حتى ٨ جمادى الأولى ٩٢٢ حيث
انتقل عبد العزيز بن عمر بن فهد الى جوار ربه .

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة

١٣٧٩ هـ ، ج ١ ، ص ٨ .

(٢) غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق / فهم محمد شلتوت معهد

البحوث العلمية ، ط ١ ، سنة ١٤٠٩ هـ ، ج ٢ ، ص ٤ .

نستنتج من هذا أن منهج العرب بن فهد في التأليف كان يعتمد أساساً على الأمانة العلمية في النقل من المعمرين الذين عاصروهم أو من الكتّاب الموثوقة الموثقة التي اطلع عليها ونقل منها وقد جعله قطب النهروالي الخامس في سلسلة الذين أروا لمكة المكرمة، فبدأها بالأزرقى ثم الفاكهي ثم التقي الفاسي ثم النجم عمر بن فهد وتنتهي بابنه الشيخ عز الدين عبد العزيز بن فهد .

أما صاحب " الاعلام بأعلام بيت الله الحرام " محمد بن أحمد بن قاضي خان المعروف بقطب الدين النهروالي المكي الحنفي (م ٩٩٠هـ) فيقول : " تشوقت الى فن التاريخ وعلم الأخبار لاشتماله على حوادث الزمان ... فان ذلك عبثة لمن اعتبر ... ومن قيد ما شاهد فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن في عصره فأردنا افادة من بعدنا ببعض ما رأينا وشهدنا ... اعلم أن من بركة العلم نسبته الى قائله ، وما لم يكن هناك سند بين الناقل الراوي ومن ينقل عنه فلا اعتماد على ذلك النقل ، ولا بد أن يكون رجال السند موثقاً بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة ... الأزرقى ... ثم ... الفاكهي ثم ... الفاسي ... ثم عمر ... بن فهد ... ثم ولده ... عبد العزيز بن عمر بن فهد وهذا الأخير ممن أدركناه ولنا عنه رواية وأما الأولون فنذكر سندها اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم ... " (١) ثم يذكر سنده الى كل منهم .

(١) قطب الدين النهروالي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، روائع التراث العربى ، د ت ، ص ٤ .

أما الشيخ محمد بن محمد بن ظهيرة القرشي (م) فقد بين منهجه في التاريخ لمكة المكرمة في كتابه " الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبنائها البيت الشريف " (١) بقوله : " وأحببت أن أجعل تعليقا لطيفا غير مختصر مغل ، ولا مطول ممل ... أجمع فيه ما تفرق من منشور الكلام وأضم كل لفظ السـ مناسبه ليحمل كمال الالتئام ، لما أن التأليف في هذا الوقت ليس هو الا كما قال بعضهم : جمع ماتشتت وزم ماتفتت ... مع تحرير عبارة ... مثبتا ذلك ... حسبما موجود في الأسفار مشروح عازيا كل قول غالبا الى قائله ... وأخرج بذلك من الدرك والعهدة . وما فتح الله به من كلامي على سبيل البحث ميزته بقولي في أوله بما صورته : أقول أو : بحث ، وفي آخره : انتهى ، أو : والله الموفق بالقلم الأحمر " . (٢)

لقد أخذ ابن ظهيرة في منهجه هذا بوجوب توثيق ما يقوله واسناده الى من قاله وفرز كلامه عن كلام غيره من المؤرخين متصفنا بذلك بالأمانة العلمية التي كانت ولا زالت أهم أوصاف المؤرخ المسلم .

أما مؤرخي مكة المحدثين فقد اقتفوا مناهج من سبقهم في التاريخ عن طريق سلسلة الرواة واتصال السند بالاضافة الى استفادتهم من المصادر والمراجع التي بين أيديهم ، ومن مشاهداتهم الشخصية منهم الشيخ عبد الله بن محمد الغازي الهندي المكي (م ١٣٥٦ هـ) رحمه الله الذي كان دائم الاشتغال بالتأليف ليلا ونهارا ، ومن أجل مؤلفاته : افادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام وهو أربع مجلدات (٣) اعتمد في مايكتبه على الأخبار الموثقة بالمصادر والمراجع .

(١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، دار الباز مكة المكرمة ، ط ٤ ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) محمد طاهر الكردي ، كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم ، مكتبة

النهضة الحديثة ط ١ ، ١٣٨٥ هـ ، ج ١ ، ص ٢٢ .

أما صاحب الموسوعة التاريخية "كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم" الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي (١٣٢١م - ١٣) فقد نقل من الكتب المعتمدة في شتى العلوم... يقول رحمه الله: "وإذا نقلت شيئاً نسبته إلى الكتاب الذي نقلته منه بصريح القول والعبارة، فهذا العمل أفضل وأسلم كما هو عادة العلماء من قديم الأزمان". "انني صنت كتابي هذا من كل مسألة ليست لها صحة، ومن كل حادثة فيها شك أو ريب... كما أنني التزمت ذكر الحوادث بدون مبالغة ولاتزييف فان ذلك مما ينبغي الثقة من المؤلف ويذهب من بهاء الكتاب وقيمه (١)٠

أما الاديب / أحمد السباعي (١٣٢٣م - ١٤هـ) رحمه الله فقد اعتمد أساساً على المراجع والمصادر التي صادفها، يقول: "كنت أقرأ... ما يصادفني ثم أدون ما استنتجته فيما يشبه المذكرات بعد أن أضيف إليه اسم الكاتب وصاحبه فاجتمعت لي مع السنين مدونات لإحصار لها... عندما اعتمدت الكتابة في تاريخ مكة كان لابد لي أن اعتمد - كمصادر للكتاب - تلك المدونات التي عشت في جمعها، وقد سهلت على تلك المدونات أعمالاً لأنها أغنتني عن مراجع كان يجب أن تتقاضاني عمراً جديداً خشيت ألا أعيشه أبداً كتابتي بعده" (٢)٠

-
- (١) الكردي، التاريخ القديم ١ : ١٢٠
 (٢) تاريخ مكة / أحمد السباعي مطبوعات نادي مكة الثقافي، ط ٦، ١٤٠٤هـ، ص ٨٠٧.

وكان قلما اعتمد في التاريخ على أقوال المعمرين بل جل مصادره اما مخطوطات
أو كتب أو وثائق اعتمد مؤلفيها اساسا على التاريخ عن طريق مشاهداتهم
أو عن طريق السند المتصل أو عن طريق أقوال المعمرين الذين أتتحت لهم
الفرصة للقاءهم .

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

المبحث الاول

الدراسة التاريخية

- نبذة تاريخية عن الحج وطرقه ومشاكله من كتب الرحلات وغيرها .
- اهتمام الخلفاء بالحج ومن حج منهم .
- طريق الحج ومشقاته .
- وصف طريق جدة - مكة عبر كتب التاريخ والرحلات .
- مكة المكرمة في بداية القرن العشرين الميلادي .
- وسائل النقل والتنقل في داخل مكة وبين المدن الرئيسية .
- وسائل تنقلات الحجاج وماكان متبعها فيها ونظام القوافل .
- المتاعب والمشاكل التي كان يواجهها الحج أثناء الطريق .
- التعدادات على الحجاج .
- وصف الطريق فيما بين مكة والمدينة .
- الطريق الفرعى .
- طريق الغابر .
- الطريق الشرقي .
- شكاوى الحجاج .

نبذة تاريخية عن تاريخ الحج وطرقه ومشاكله من كتب الرحلات وغيرها :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام . وهو عبادة قديمة عرفتھا الانسانية منذ أن دعا اليها أبو الأنبياء ابراهيم صلوات الله عليه .

فرض الله الحج على المسلمين في السنة التاسعة من الهجرة . وقد قام المسلمون بادائه في تلك السنة تحت اشارة ابي بكر الصديق رضي الله عنه . وهو بذلك يعد أول أمير للحج في التاريخ الاسلامي .

تاريخ الحج عنصر عظيم الأهمية من عناصر التاريخ الاسلامي، وكان المسلمون - قبل عهدهم بالأسفار الجوية والسفن البخارية والسيارات السريعة - يلاقون الكثير من المتاعب والمشاكل والمصاعب في سبيل اداء هذه الفريضة الدينية تحت ظلال الشراع في البحر وعلى ظهور الابل في البر في كل عام، ومنهم من كان يختار المشي على الاقدام لينال الاكثر من الثواب على مايقوم به من هذه العبادة العريقة في القدم .

بدأت هذه الرحلة المقدسة - لأول مرة - من المدينة المنورة - على
صاحبها أفضل الصلاة والتسليم - مكونة حلقة ذهبية أولى من حلقات سلسلتها
والتي تلتها رحلات أخرى من الشام والعراق ومصر ، واليمن وآسيا الصغرى ، وما
وراء النهر وقارة الهند ، ومن أعماق القارة الافريقية ومن الاندلس . وغيرها
من البلدان الاسلامية . ولم تنقطع هذه الرحلة المقدسة الى بيت الله الحرام
في سنة من السنين الا عدة أعوام كاصابع اليد الواحدة .

اهتمام الخلفاء بالحج ومن حج منهم :

حظيت مكة المكرمة والحج باهتمام الامراء والخلفاء الذين أولوهما
 جل اهتمامهم حيث الترتيب والتنظيم وذلك منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم

حيث كان من واجب الخليفة ان يرتب وينظم قافلة الحج وأن يعين أميراً عليها يقوم بحراستها وتأمين احتياجاتها في الطريق من مأكّل ومشرب وغيرها ، فظهرت بذلك في التاريخ الاسلامي طرق عرفت بدروب الحج مثل : طريق الحج اليميني ، وطريق الحج البصري ، وطريق الحج العراقي ، وطريق الحج المصري ، وطريق الحج الشامي وغيرها .

ومما هو معلوم أن أول قافلة حج جهزت وأرسلت الى بيت الله الحرام في التاريخ الاسلامي - هي قافلة أعدها الرسول صلى الله عليه وسلم وأرسلها الى بيت الله الحرام تحت إمارة ابي بكر الصديق رضي الله عنه في السنة التاسعة من الهجرة حيث فرض الله تعالى حج بيته على عباده .

وفي السنة العاشرة من الهجرة حج الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ومعه جمع غفير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ثم بعد ذلك حج بالناس الخلفاء الراشدون غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففي السنة الثانية عشرة حج أبو بكر (١) ثم عمر بن الخطاب السدي دامت خلافته عشر سنوات حج فيها ماعدا الأولى من بداية خلافته . (٢)

-
- (١) تاريخ الطبري ٥٠/٤ ، والفاسي ، شفاء الغرام ٣٣٨/٢ ، وابن الأثير : الكامل ١٦٨/٢ ، والبداية والنهاية ٣٥٣/٦ ، والذهبي المسبوك ص ١٢ ، ١٣ ، والجزيري ، درر الفرائد ص ١٩١ وما بعدها ، وابن فهد ، اتحاف الوري ٣/٢ .
- (٢) تاريخ الطبري ١٥٢، ٨٢/٤ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٥٠ ، ٢٦٧ ، والفاسي شفاء الغرام ٣٣٨/٢ ، وابن الأثير ، الكامل ١٨٨/٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٩/٣ ، ١٦ ، والجزيري ، درر الفرائد ص ٦٦٠ ، واتحاف الوري ٤/٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الذي حج في خلافته ماعدا الأولي والأخيرة . (١)

ولم يحج علي بن أبي طالب رضي الله عنه كخليفة في خلافته لاشتغاله بحرب الجمل وصفين . (٢)

وفي الدولة الاموية حج الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عدة مرات أولها سنة أربع وأربعين . (٣)

وفي سنة خمس وسبعين حج بالناس الخليفة عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص . (٤)

وفي سنة احدى وتسعين وسنة خمس وتسعين حج بالناس الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان . (٥)

(١) تاريخ الطبري ٥/٤٦، ٥١، ٤٧، ٥٤، ٦٨، ٧٧، ٩٢، ٩٨، ١٣٩، والفاسي، وابن الأثير الكامل ٣/٣٣، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٥٤، ٦١، ٦٤، ٧٣، وابن فهد، اتحاف الوري ٢/١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، والبداية والنهاية ٧/١٥١، ١٥٤، ١٧٠، ١٨٧، والجزيري، درر الفرائد ص ٦٦٠.

(٢) الجزيري، درر الفرائد، ص ٦٦٠.
(٣) تاريخ الطبري ٦/١٢٣، والفاسي، شفاء الغرام ٢/٣٣٩، وابن الأثير، الكامل ٣/١٢٣، ٤٤٦، وابن فهد، اتحاف الوري ٢/٣٤، والجزيري، درر الفرائد ص ١٩٥،

٦٦١ وما بعدها.
(٤) الأزرق، أخبار مكة ٢/١٣٠، والفاسي، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، وابن الأثير، الكامل ٤/٣٩١، وابن فهد، اتحاف الوري ٢/١٠٥، والجزيري، درر الفرائد ص ٦٦١، ٢٠١.

(٥) تاريخ الطبري ٨/٨٢، ومروج الذهب ٤/٣٩٩، والفاسي، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، وابن الأثير، الكامل ٤/٥٥٤، وابن فهد، اتحاف الوري ٢/١٢٨، والجزيري، درر الفرائد ص ٢٠٣.

وفي سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان مرة واحدة . (١)

وفي سنة ست بعد المائة حج بالناس هشام بن عبد الملك (٢) بن مروان وقال الجزيري (٣) : ولم يحج بعد هشام أحد من بني أمية وهو خليفة .

وفي الدولة العباسية :

فأول من حج منهم : الخليفة أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، حج بالناس مرارا وذلك في سنوات : ١٤٠ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٢ هـ (٤) وفي حجة سنة ثمان وخمسين ومائة مات في الطريق ودفن ببئر ميمون الواقعة بالقرب من مكة المكرمة . (٥)

- وفي سنة ستين ومائة وسنة أربع وستين ومائة حج بالناس المهدي أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور . (٦)

-
- (١) الأزرقى ، أخبار مكة ٢٢٠/١ ، والفاكهى ، أخبار مكة ٣٠٣/٢ ، والفاسى ، شفاء الغرام ٣٤٠/٢ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ١٢٩/٢ ، والجزيرى درر الفرائد ص ٢٠٣ ، وابن الأثير ، الكامل ٢٦/٥ .
- (٢) تاريخ الطبرى ١٨٢/٨ ، ومروج الذهب ٤٠٠/٤ ، والبداية والنهاية ٢٣٤/٩ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ١٣٩/٢ ، والجزيرى ، درر الفرائد ص ٢٠٥ ، ٦٦١ .
- (٣) الجزيرى ، درر الفرائد ص ٦٦١ .
- (٤) تاريخ الطبرى ١٧٣/٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ومروج الذهب ٤٠١/٤ ، ٤٠٢ ، والفاسى ، شفاء الغرام ٣٤١/٢ ، وابن الأثير ، الكامل ٥٠٠/٥ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ ، والبداية والنهاية ١٠٥/١٠ ، فهد . اتحاف الورى ١٧٧/٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، والجزيرى ، درر الفرائد ص ٢١٠ .
- (٥) الفاسى ، شفاء الغرام ٣٤١/٢ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ١٩٥/٢ ، والجزيرى ، درر الفرائد ص ٢١١ .
- (٦) تاريخ الطبرى ٣٣٧/٩ ، ومروج الذهب ٤٠٢/٤ ، والفاسى ، شفاء الغرام ٣٤١/٢ ، وابن الأثير ، الكامل ٤٨/٦ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ٢٠٣/٢ ، ٢١٤ ، والجزيرى درر الفرائد ص ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٦٦٢ .

وحج بالناس الخليفة هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبي جعفر المنصور
أحدى عشرة مرة ، وكان يغزو سنة ويحج سنة . وفي حجة سنة ١٧٠هـ قسم بالحرمين
عطاء كثيرا ، وفي حجة سنة ١٧٩هـ حج ماشيا وشهد المشاعر كلها ^(١) .

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس الخليفة المأمون عبد الله
بن هارون الرشيد الهاشمي العباسي . ^(٢)

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس الخليفة المعتصم بالله محمد
بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أمير المؤمنين ابن هارون الرشيد
العباسي . ^(٣)

ومن الملوك :

حج الملك الصليحي علي بن محمد بن علي ملك اليمن سنة خمس وخمسين
وأربعمئة وفعل فيها أفعالا جميلة من العدل والاحسان ومنع المفسدين . ^(٤)

وحج الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين أتابك بن زنكي
ابن أبي سعيد سنة ست وخمسين وخمسائة . ^(٥)

-
- (١) الفاس ، شفاء الغرام ٣٤٢/٢ ، وابن الأشير ، الكامل ١٠٩/٦ ، ١٢١ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ،
وابن فهد ، اتحاف الوري ٢٢٢/٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، وتاريخ الطبري
٥٤/١٠ ، ومروج الذهب ٤٠٣/٤ ، والجزيري ، درر الفرائد ص ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(٢) الجزيري ، درر الفوائد ص ٢٢٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .
(٤) الفاس ، شفاء الغرام ٣١٠/٢ ، ٣٦١ ، وابن الأشير ، الكامل ٣٠/١٠ ، والجزيري
درر الفرائد ص ٦٦٣ ، وابن فهد ، اتحاف الوري ٤٦٨/٢ .
(٥) الفاس ، شفاء الغرام ٣٦٥/٢ ، والجزيري ، درر الفرائد ص ٢٦١ ، ٦٦٣ ، وما بعدها
وابن فهد ، اتحاف الوري ٥٢٤/٢ .

- وحج في سنة احدى عشرة وستمائة من الشام على الهجن الملك العظيم شرف الدين أبو الفتح عيسى ابن الملك العادل سيف الدين بن أيوب، وبني البركة وعدة مصانع، وتصدق على أهل الحرمين بصدقات جريئة . (١)

وفي سنة تسع عشرة وستمائة حج الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن وظهر فيها من الجراءة على القبائح التي لا تتناسب مع قدسية الحرم (٢) الشريف .

وفي سنة احدى وثلاثين وستمائة حج الملك المنصور نور الدين عمر ابن علي بن رسول الكردي ملك اليمن بعد موت الملك المسعود، وهو أول ملوك اليمن من بني رسول . (٣)

وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة حج الملك الناصر أبو شاذي داود بن الملك المعظم أبي الفتح عيسى بن أيوب وسكن الفتنة التي كادت أن تقع بين أهـل مكة وبين الركب العراقي . (٤)

وفي سنة سبع وستين وستمائة حج السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي، وهو أول من ادار المحمل وكسا الكعبة من ملوك مصر . حج في ثلاثمائة مملوك وجماعة من أعيان الخليفة وغيرهم، وتصدق في الحرمين بمال عظيم . (٥)

(١) الفاسي، شفاء الغرام ٣٧٣/٢، والجزيري، درر الفرائد، ص ٦٦٤، وابن فهد، اتحاف الوري ١٩/٣ .

(٢) الفاسي، شفاء الغرام ٣٧٥/٢ وما بعدها، الجزيري، درر الفرائد ص ٦٦٤، ٢٧٤، وابن فهد، اتحاف الوري ٣٤/٣ .

(٣) الفاسي، شفاء الغرام ٣٧٨/٢، والجزيري، درر الفرائد ٦٦٥ .

(٤) المصدران السابقان : شفاء الغرام ٣٨٠/٢، درر الفرائد ص ٦٦٥، ٦٧٢ وما بعدها، وابن فهد، اتحاف الوري ٧٨/٣ .

(٥) الفاسي، شفاء الغرام ٣٨٢/٢، ٣٨٣، والجزيري، درر الفرائد ٦٦٥، وابن فهد، اتحاف الوري ٩٤/٣ .

وفي سنة أربع وتسعين وستمائة حج الملك المجاهد أنس ابن السلطان الملك العادل كتبغا المنصورى صاحب الديار المصرية والشامية ففرق أموالا في مكة . (١)

وفي سنة سبع وتسعين وستمائة حج من مصر الخليفة الملقب بالحاكم أبو القباس أحمد بن علي بن أبي بكر وهو أول خليفة سكن بمصر وحج منها سلطان مصر يومئذ المنصور لاجين . (٢)

- وفي سنة اثنتى عشرة وتسع عشرة واشنتين وثلاثين وسبعمائة حج من الشام الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى مع احمافة من الأمراء وممن أعيان الفقهاء وغيرهم ، وتصدق في حياته على أهل الحرم . (٣)

- وفي سنة اثنتين وأربعين وسنة اثنتين وخمسين وسبعمائة حج الملك المجاهد علي بن رسول صاحب اليمن وعم بصدقته أهل مكة . (٤)

- وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة حج الملك المنصور حسن بن المؤيد سليمان بن الحسين صاحب كلوة وتصدق على أعيان الحرم . (٥)

(١) الفاسى ، شفاء الغرام ٢/٣٨٥ ، والجزيرى ، درر الفرائد ص ٦٧٥ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ٣/١٢٦ .

(٢) الفاسى ، شفاء الغرام ٢/٣٨٦ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ٣/١٣٠ .

(٣) الفاسى ، شفاء الغرام ٢/٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ٣/١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، والجزيرى ، درر الفرائد ص ٦٦٥ ، ٦٧٥ ، ومابعدا .

(٤) الفاسى شفاء الغرام ٢/٣٩٤ ، ٣٩٥ ، والبداية والنهاية ١٤/٢٣٧ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ٣/٢٢٠ ، ٢٤٥ ، والجزيرى ، درر الفرائد ص ٦٦٧ ، ٦٧٩ ، ومابعدا .

(٥) الفاسى ، شفاء الغرام ٢/٤٠٦ ، وابن فهد ، اتحاف الورى ٣/٤٨٣ ، والجزيرى ، درر الفرائد ٦٨٢ .

وفي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة حج الملك الناصر حسن صاحب دمره ابن أبي بكر بن حسين بن بدر الدين ملك دمره التي تسميها العامة ديبة وهي جزيرة في البحر تجاور سيلان . (١)

وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة حج السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي وهو آخر من حج من ملوك مصر ، وطوفه القاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة . (٢)

وإذا لم يتمكن الخليفة من أداء فريضة الحج بنفسه كان يعين شخصاً آخر ينوب عنه في مهمته ، واعتبر جميع الحكام في البلاد الإسلامية خدمة الحجاج والاماكن المقدسة وارسال الصرر ، والهدايا لأهل الحرمين شرفاً عظيماً وبذلك انفقوا أموالاً طائلة في سبيل راحة الحجاج وتأمين الأمن والماء والاحتياجات البشرية الأخرى طوال طريق الحج وفي كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة من المرافق العامة .

واستمر ارسال قوافل الحجاج من البلاد الإسلامية رسمياً حتى سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، ونتيجة انهزام الدولة العثمانية في الحرب والتي كانت مقر الخلافة الإسلامية تفرق العالم الإسلامي ووقع بعض البلاد الإسلامية في أيدي المستعمرين من الدول المسيحية . ونتيجة هذا التغيّر التاريخي في العالم الإسلامي انقطع ارسال المحامل الى بيت الله الحرام غير أن مصر استمرت في ارسالها حتى نهاية الخمسينات .

(١) الجزيري ، درر الفرائد ص ٦٨٢ .

(٢) القطبي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ٢٢٩ وما بعدها ، والجزيري ، درر الفرائد ص ٦٨٢ وما بعدها .

ثم بعد ذلك بدأ تنظيم الحج من قبل قاصديه بأنفسهم وبدأوا يأتسون

فرادى أو مجموعات عن طريق الشركات السياحية الخاصة المحلية .. (١)

(١) انظر تاريخ الحج من وادى نهر السند، ص ٣٩، وما بعده . تقرير من تقارير
المركز .

طريق الحج ومشقاته :

قال البتنوني في رحلته :

" وكانت طريق الحج الى بيت الله الحرام كلها مشقات واطار في الزمن السابق بما كانت تلقيه يد الطبيعة في سبيلهم من الشدائد الطبيعية التي كانت تفتك بسوادهم في الطريق من حر الصيف وقر الشتاء أو جفاف ماء الآبار في هذه الصحراء المحرقة .

وعدا هذه الشدائد الطبيعية فكثيرا ماكانت توقع بهم يد أشرار الاعراب، وكثيرا ماكان تجاذب السلطة بين اشراف مكة وبعضهم أو حربهم مع قبائل الاعراب، أو اختلاف أهل مذهب مع أهل مذهب آخر ،ويقتل في وجوه الحجاج أبواب مكملة أو المدينة بعد وصولهم الى هذه أو تلك فيرتدون عن الأولى من غير تأديبة المناسك وعن الثانية بدون زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وغالبا ماكانت تشتتهم يد الفوضى وتعرض لهم حال الضعف الى النهب والسلب ،كل ذلك كان يحصل لحجاج بيت الله الحرام والناس لايمنعهم عنه مانع . ولم يسمع انهم انقطعوا عنه من انفسهم في سنة من السنين الا أيام القرامطة التي كانت مقطوعة عليهم " .(١)

ولذلك كان الحجاج اذا طلوعوا الى اداء هذه الفريضة كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم كأنهم سائرون الى دار حرب لا الى دار قد آمن الله فيها حياة الانسان والحيوان ،بل وحياة الاشجار .(٢) لأن رسول الله صلى الله عليه

(١) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٢) القطبي ،اعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام ،ص ٦٧ .

وسلم قال يوم فتح مكة : ان مكة حرام حرّمها الله عز وجل يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر ، ووضع هذين الأخشين لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، لا يختلا خلالها ، ولا يعقد شوكتها ، ولا ينفر صيدها ، ولا ترفع لقطتها ، إلا لمن أنشدها ، فقال العباس رضي الله عنه : إلا الأذخر بإرسول الله فإنه لا غنى لأهل مكة عنه فإنه للقيين والبنين فقال صلى الله عليه وسلم
إلا الأذخر . (١)

فإذا عاد الحجاج إلى بلادهم استقبلهم أهلهم وذوهم بالطبل والزممر فيقيمون بهذه المناسبة الأفراح والليالي الملاح بعد أن يعودوا إليهم كل ما فيه راحتهم وما يدخل السرور على نفوسهم معنوياً ومظهرياً كغسل الدور وتجديس ما قدم عهده فيها من فرش وغيره .

وكانت الطبقة الصغرى وهي سواد الحجاج - وأكثرهم مشقة طبعاً - تزوق لهم واجهات منازلهم فيرسمون عليها صورة المحمل وقافلته وخرسه ، يرسمون السج جانبها نخلة قد ربط إلى جذعها سبع وضع في سلسلتين من حديد ويقرب منهم رجل قد أشهر سيفه في يده إشارة إلى أن صاحبنا الحاج العائد قد تغلب بقوته وشجاعته على مصادفه في طريقه هذا من مخاطر ومهالك . (٢)

(١) الأزرقى : تاريخ مكة ١٢٦/٢ .

(٢) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٣١٠ .

وصف طريق جدة - مكة عبر كتب التاريخ والرحلات :

كان الحاج في الزمن السابق يقطعون طريق جدة - مكة خلال يوم أو يومين
 اما ماشيا على الأقدام ، أو ركوبا على الجمال والبغال والحمير والخيول . والطريق
 بين جدة ومكة واد رملى الا في موضعين منه حيث يوجد حصن صغير الحجم وكبيره ،
 ولكن ذلك لايشغل من الطريق الا حوالى نصف ميل ، وقبيل مكة بنحو أربعة أميال كان
 يوجد مدرج حجرى مرتفع قليلا ، ثم بعده يستوى الطريق وان كان حجرى ، وتكثر فيه
 التعريجات حتى يخيّل الى الناظر أن الطريق سد لاقتراب الجبال المواجهة ، والوادي
 يحفه من الجانبين الجبال والتلال التى تارة تتقارب فيضيف الوادى ، وتارة أخرى
 تتباعد فيتسع ، وفي الطريق يضع عشرة قهوة لراحة الحاج ، وتقديم الشاي والقهوة
 لهم .

وتوجد أيضا مجموعة من القلاع في جانبي الطريق ، وكان يقيم بها في العهد
 العثمانى جنود الأتراك لحماية الحاج وأمن الطريق من تعديات وغارات الأعراب على
 الحاج ، وقطاع الطريق . (١)

وكان الحاج في القديم يسيرون في هذا الطريق ويمرون بالمحطات التالية
 التى ذكرها ابن مجاور في القرن السادس عندما دار مكة المكرمة لغرض أداء الحج .

كان يتجه ركب الحاج من مكة المكرمة الى " عين أبو سليمان " التى
 تبعد عن مكة فرسخا واحدا ، ثم يتجه الركب الى " مقتل الكلاب " التى اليها
 الطريق فرسخ واحد ، ثم الى " حدة " التى هي آخر حدود وادى الصفراء ، والمسافة

(١) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ٢٤/١٠ .

اليها من مقتلة الكلاب فرسخ واحد . ثم يتجه الى " القربن " ومنها الى " الكتانة " ، ومنها " التديين " ، ومنها الى " السدرة " ومنها الى " الغار " ومنها الى " الفج الأخضر " ومنها الى " الفرع " ، ومنها الى " أبي الرحم " ومنها الى " الهنود " ومنها الى " المينة " . ومنها الى " جدة " . والمسافة بين محطة وأخرى تتراوح بين فرسخ واحد وبين نصف فرسخ . (١)

وقد وصف لنا الطريق ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين والذي كان قوماندان المحمل المصري ، مهتما بالقلع العسكرية التي انتشرت بين مكة وجدة والتي كان لها دور في حماية أمن الحاج والطريق ، حيث كانت تقطن في هذه القلاع الحاميات العسكرية لحماية الطريق والحجاج من اعتداءات القبائل عليهم . وقد وصف محطات هذا الطريق والتي تغيرت أسماؤها بمرور الزمن ، بأدق عن سابقها وكان الحجاج الذين يصلون الى جدة في بداية القرن العشرين الميلادي يسيرون في هذا الطريق مارين بالمحطات التالية .

كان يتجه ركب الحاج من جدة الى " رأس القائم " التي تبعد عن جدة ثلاث ساعات و٢٥ دقيقة ، والتي كان يوجد بها مقهى ومخفر ، ثم الى " الرغامة " التي توجد بها قلعة ومقهى ، ثم يتجه الركب الى محطة " جرادة " وبها مقهى وبئران على مائة متر من المحطة ، ومنها الى " قلعة الكتانة " ، ومنها الى " قلعة الكتانة الثانية " ومنها الى " القلعة البيضاء " ، ومنها يتجه الى الركب الى " قلعة العبد " أو " قلعة سالم " ، ومنها الى " قلعة الشديين " ثم الى " بحرة " التي توجد بها أكواخ ، وظواهر لابل ، ومقاهى ومسجد صغير بنى أصله الرسول صلى الله عليه وسلم حين انصرافه من الحديبية سنة ثمان من الهجرة ، ويتفرع منها طريق آخر الى مكة يسير نحو الجنوب الشرقي يقال

(١) ابن مجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٤٠ وما بعدها .

أنه أقرب وأسهل من الطريق الذي نحن بصدد وصفه ،ثم يتجه الراكب الى " بئر أم القرون " ،ومنها الى " حدة " وهي بلدة صغيرة ،بها حصن ومسجد ،وعين ماء حلوة ،وبئران وبساتين ،ومنها الى " قلعة الشميس " وبها مقهى وبعض الأكواخ ومسجد يسمى بمسجد الشميس أو مسجد البيعة ،وبئر ،ومنها الى " قهوة العبد " أو " البزم ،أو سالم أو البوغاز " ،ومنها الى " قلعة المقتلة " وبها بئر ومنها الى " أم الدود " ،ثم الى " قهوة البستان " ثم الى " قهوة المعلم " بالجرول . وهنا ينتظر المطوفون الحجاج لاستقبالهم . (١)

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٢٤/١ وما بعدها .

(३०)



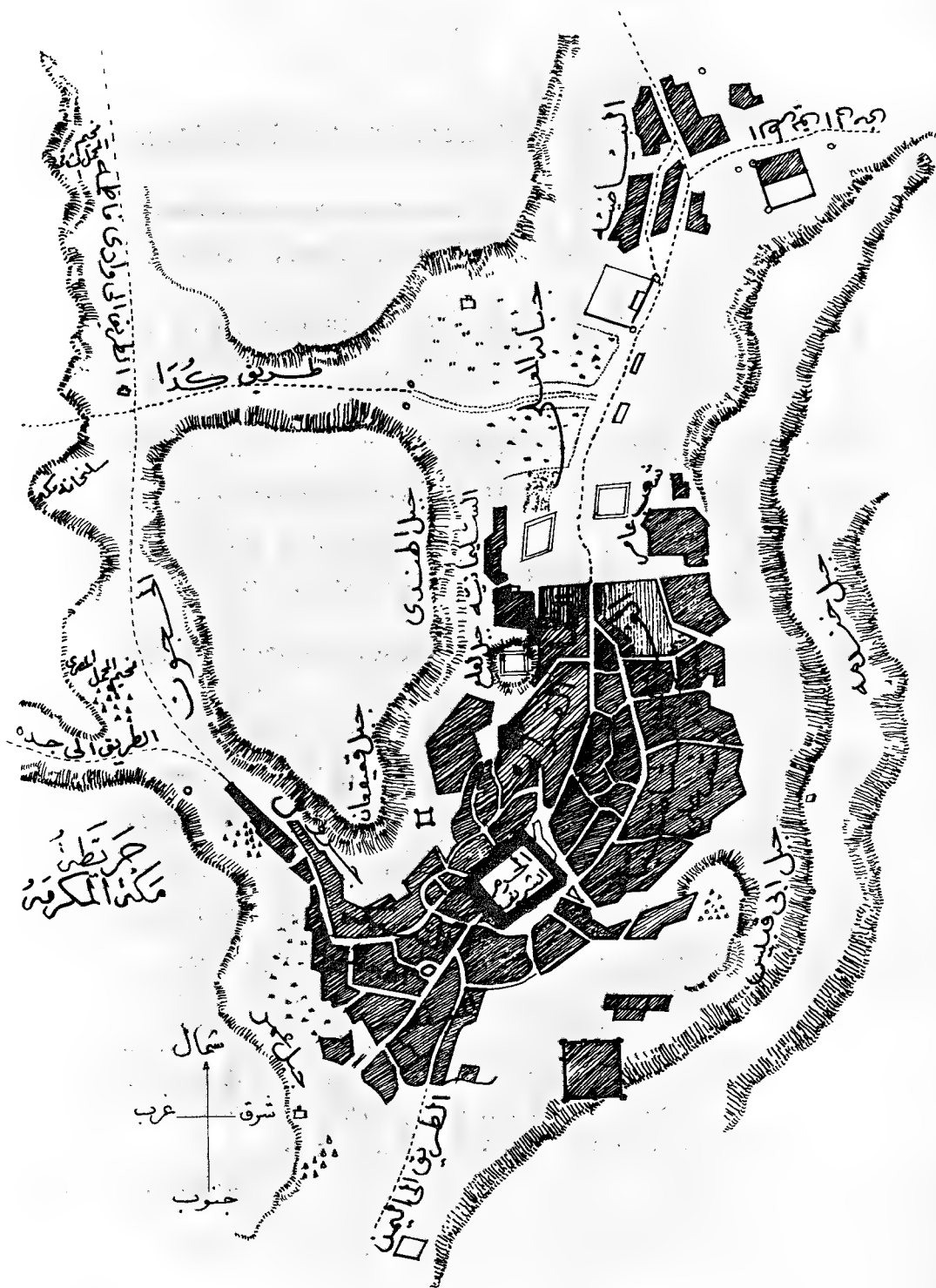
مكة المكرمة في بداية القرن العشرين الميلادي :

كانت مكة المكرمة تزيد عمارتها وتنقص بحسب الأزمان وبحسب الولاة والامن والخوف . والغلاء والرخاء ، ونراها في بداية القرن العشرين الميلادي توسعت مساحتها العمرانية حتى وصل طولها من الشمال الى الجنوب الى ميلين وعرضها شرقا من جبل ابي قبيس الى اسفل جبل قعيقعان الى ميل واحد . (١)

وكان قد بلغ عدد منازلها الى نحو سبعة آلاف بيت منها الكبير والصغير ، وثلاثة آلاف دكان (٢) ، وقد بنيت هذه البيوت على حسب اعوجاج وانحراف السوادي ، وبني بعضها فوق بعض حتى انما سفوح الجبال التي تحف الوادي من الجانبين (٣) ولذلك كان جل شوارع مكة ، خصوصا في التحواري متعرجة وغير متساوية في السعة ... فترى الزقاق أو الشارع يضيق أحيانا ويتسع أحيانا أخرى مما جعلها غير قابلة للتجول في داخل أحياء مكة بالحيوان وغير قابلة لنقل الاثقال بالجمال أو بأية دابة أخرى في داخلها . (٤)

لأن البناء لم يكن مراقبها كفا ينبغي وكان كل انسان يبني حسبما يريد ... دون مراعاة لما يجب ان تكون عليه الشوارع (٥) اضافة الى ذلك الظروف الطبيعية والظروف الجغرافية لأراضي مكة المكرمة .

-
- (١) أيوب صبري : مرآة الحرمين ، قسم مرآة مكة ٢٦/١ وما بعدها .
والبتنوني : الرحلة الحجازية ص ٣٨ .
وابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ١٧٨/١ .
 - (٢) البتنوني ص ٣٨ . وابراهيم رفعت ١٨٤/١٢ .
 - (٣) أيوب صبري ، قسم مرآة مكة ٢٦/١ وانظر ايضا محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ص ٢٤ .
 - (٤) المصدران السابقان .
 - (٥) محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ص ٢٤ .



وسائل النقل والتنقل في داخل مكة وبين المدن الرئيسية :

استخدمت البغال والحمير كوسائل نقل داخل مكة وبين المدن واستخدمت الجمال كوسيلة للتنقل والتنقل بين المدن الرئيسية .

أما التنقل على الخيل التي قد تكون خاصة بالاشراف والامراء والبعض الآخر فقد اتخذوا البغال مطية لهم .

أما الحمير فقد كانت الوسيلة الشائعة لدى الجمهور وكان لهم بها عناية كتجميل لبراذعها وكانت على أنواع فمنها ما يسمى (التراسية) ومنها ما يسمى (مقعد) وهو أجمل من التراسية في الشكل . ومنها نوع ما يسمى (القولاني) وهو شكل بين المقعد والتسرج . (١)

والجمال في الأحوال العادية وسيلة تنقل فيما بين المدن وعليها الشقائف المختلفة الأنواع . (٢)

وكانت توجد في مكة وسيلة أخرى كان يستعملها الامراء وعلية القوم وأولو الثراء وتعرف بـ (التختروان) (٣) وهناك أيضا توجد وسيلة أخرى تستعملها الطبقة المذكورة وهي : تصنع من الخشب مريعا ، وجوانبها مسترة بمجدول الخيزران، وفي كل شبك يمكن للجالس فيه ان يظل منه وله أربعة سواعد ليحمل بها على الدابة وهي غالبا ماتكون من البغال . بغل من الامام وبغل من الخلف يشد كل ساعديسن على بغل . (٤)

(١) محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١١٣ .

(٢) انظر لأنواع الشقائف : المصدر السابق ، ص ١١٤ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ، وهي كلمة فارسية مركبة معناها : الكرسي السائر .

(٤) المصدر السابق .

وسائل تنقلات الحجاج وما كان متبعاً فيها ونظام القوافل :

بعد النزول من عرفة كان الحاج ينتظر في مكة صدور أمر الشريف بسفر الحجاج منها ولا يتم ذلك غالباً إلا في الأسبوع التالي لنزولهم من حجهم (١). وكذلك كان الحجاج لا يخرجون من مكة إلى المدينة إلا في ركب القافلة التي تكون جمالها من أهل الطريق الذي يسبرون فيه، والمتعهد هو الذي كان ينقلهم إلى المدينة المنورة ومن جدة واليهما هيئة تسمى هيئة المخرجين المتعهدين ولهؤلاء شيخ ينصبه الأمير، وتتبعهم جماعة يسمونهم (المقومين) والتقويم معناه (٢). تقدير حمولة الجمل من عفش الحجاج وركوبهم وأغلب الفئتين كان من رجال قبائل "حرب" ممن تحضر وسكن مكة أو أحد أطرافها وحين يبتدىء موسم الحج من كل عام تقدر اجرة الجمل الذي تنوعت أحماله وتباينت أعماله (٣) إلى جمل الشدق ويركب به اثنان ومعهما ما يلزم من فراش ومونة يومية .

وجمل الحمل ويقال له (العصم) وقد خصص لحمل المتاع ويركب فوقه رجل واحد أو رجلين إن كان المتاع قليلاً .

وقد خصصت أجور الجمال بنوعيتها تبعاً للاحمال والأعمال فحمل الشدق أو الحمل لكل منهما أجر مخصوص .

وإن كان العصم مركوباً بنفر أو نفرين دون شدق فله أجر مخصوص ويشتمل التقدير على اجرة الجمل والمخصص للمخرج والمقوم مقابل عملهما وخدماتهما .

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٢٠٦ .

(٢) محمد رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق : والبتنوني : الرحلة الحجازية ص ٢١٣ وما بعدها .

وللمبلغ الذي يختص به الامير باسم (كوشان) ، وكانت هذه الأسعار ترتفع وتنخفض على حسب مطامع ولاية الامور بمكة . وكانت اجرة جمل الشداف سنة ١٣٢٨ هـ ست ليرات عثمانية من مكة الى المدينة - ينبع . (١)

لكن هؤلاء الجمالة ماكانوا يكتفون بهذه الاجرة ولذلك اتجهوا الى الاحاف في مسألة الحجاج وذلك بعد مفارقتهم وبعدهم عن مكة وكثيرا ما اغلظوا لهم القول كقولهم لركابهم (جرجوش - هله - سكر - جرش) فيجيبه الحاج : انت اخذت . وآخر يقول : مابقي شيء ، ويكثر بينهم الجدل في الاخذ والرد حتى ينتهي اخيرا بأخذ الجمالة مايريدونه . (٢)

فاذا كملت شحنة القافلة نهضت الجمالة بجمالهم على طريقهم يقطرونها فـي بعضها قطارا أو قطارين بجوار بعضهما . وفي المقدمة يكون غالبا اكبر الركب وجاهة وعصبية . وجمال كل رجل تسير من خلفه مقطورة من جملة ، ومنهم من يرى متقدما على جملة حتى تكون - على الدوام - تحت نظره خوفا من عبث العابثين .

ومعلوم ان المطوفين بعد اتفاقهم مع الجمالة على نقل حجاجهم كانوا يسافرون غالبا في قافلتهن بحجة المحافظة عليهم (٣) وكذلك كانت الامارة تأخذ رهائن من اقرباء الجمالة بواسطة المخرج والمقوم وذلك عند سفر القوافل للمحافظة عليهم من تعديات الاعراب . (٤)

(١) البثنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٢١٣ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ، ص ١٧٦ .



(TV)



المتاعب والمشاكل التي كان يواجهها الحاج أثناء الطريق :

مشاكل الطريق ومتاعبه كثيرة جدا ، كانت تبدأ ببداية السفر من مكة او بدخول الحاج الي اراضي الحجاز حتي ينتهي من سفره ، وكثير من الحجاج فقدوا حياتهم في هذه الرحلة المباركة الى بيت الله الحرام أو في رحلتهم الى زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذه المتاعب والمشاكل منها ما كان يواجههم من قبل الجمالة انفسهم ، ومنها ما كان يواجههم من قبل الاعراب ، الذين كانوا يقطنون طوال الطريق ، غير المتاعب التي كانت تلقىها اليهم الظروف الطبيعية من حر وفقر في الماء .

وكان كثيرا ما يغمر الجمالة بغفاف الحجاج فيأخذون الاجرة منهم ويخبرونهم بان الجمال خارج البلد ، ويرجونهم في أخذها من هناك حتي يوفروا عليهم دفع القوشان . (١) فاذا خرج الحجاج المساكين من مكة لا يجدون الا جمالا ضعيفة فيئله ينالهم منها مشقات جسيمة وكثيرا ما يتركونها ويشيرون علي اقدامهم جل مسافة الطريق أو كلها . (٢)

واحيانا يقطع الجمالة حزام الجمل فيقع راكبه ويتأخر عن القافلة حتي يعلح الحزام ، وربما انتهزوا فرصة الانفراد به وقتلوه ، أو سلبوه متاعهم ، وكثيرا ما يجهزون عليهم ويفرون بجمالهم الى حيث ارادوا ، وتسارة اخرى يؤخرون الجمل عن القافلة بحجة ان الرجل في حاجة الى اصلاح وما يريدون بذلك الا فرصة للفتك به . (٣)

(١) القوشان كلمة تركية معناها : المكس وهو عوائد تأخذها الحكومة على الجمال الخارجة من مكة او جدة او المدينة او ينبع وليست لها قيمة مخصوصة بل ترتفع وتنخفض على نسبة مطامع الكلمة هناك (انظر: البتتوني الرحلة الحجازية ، ص ٢١٤ ، ومحمد رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١٧٨) .

(٢) البتتوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢١٤ .

(٣) المعدر السابق ، وابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ٦٨/١٠ .

والأدهى من ذلك ما يهدد القافلة من خطر هجوم بعض القبائل التي في طريقها عليها أو على الأقل وقوفهم في وجهها ، فلا يدعونها تمر في أرضهم إلا بعد أن يأخذوا منها ما يرضيهم باسم اجرة المرور .

التعديت على الحجاج :

ان اختلال الأمن في الطريق بين جدة ومكة ، وبين مكة والمدينة وعدم الاستقرار فيها لم يكن مقصورا على الطرق وحدها بل ان مكة أيضا كان ينالها من ذلك الكثير في اغلب الاحيان بسبب ما يقع بين الشرفاء من تنافس على الإمارة ، والتقاتل عليها ، او بين امير من امراء قوافل الحجاج وبين امير مكة ، فيقع من أنصار الفئتين المتقاتلتين من النهب والسلب للاهلين والحجاج على السواء .

وقد سجل لنا ابراهيم رفعت (١) عدة من حوادث الاعتداءات التي وقعت على الحجاج ، منها ما وقع في ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٢١هـ سطا فيها العرباان علي قافلة كانت ببحرة بين مكة وجدة ، فقتلوا من رجالها ونسائها ، وجرحوا الكثير وسلبوهم المتاع والنقود والحلي وكان فيها كثير من المصريين والسودانيين . وكتب ابراهيم رفعت الى الحكومة المصرية تقريرا بهذه الحادثة وبحوادث أخرى وقعت على الحجاج ثم ذيل التقرير بكشف معظم أسماء الذين قتلوا او جرحوا او نهبوا في حادثة ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٢١هـ وذكر فيـه موطن كل واحد من جهات مصر ، وما سلب منه ، وما خصه من الاعانات التي تبرع بها اصحاب البر والاحسان . (٢)

(١) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٧٠/٢ .

(٢) انظر المصدر السابق ٧٢/٢ وما بعدها .

وفي ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٢٢١هـ وقعت حادثة اعتدى فيها بعض الأعراب علي الحجاج المصريين الذين أرادوا السفر الى المدينة المنورة قبل حضور المحمل المصري، وتجمعوا في المكان الذي كان يعسكر فيه المحمل المصري بعد أن سلموا أجرة الجمال للجمالة ثم اعتدى عليهم العربان بالقتل والسلب ولادوا بالفرار. (١)

استمر الوضع علي هذه الحالة في الحجاز من قتل ونهب حتي أصبحت وتمت لواء الحكم السعودي وبهذا عم الامن والامان طرق الحج وسائر طـــــــرق المملكة دون عناء يذكر . ومن جراء هذا التغير تمرد بعض قبائل حرب فبعثت الحكومة عليهم شزيمة من الاخوان ضربت القبيلة ضربة لم تقم بعدها لسائر قبائل حرب قاشمة ، حتي صار البدو على طريق المدينة يتهيمون القرب من معسكر قوافل الحجاج بعد ان كان الحجاج يهابونهم ، فاذا نزلت القافلة على منهل للاستراحة اثناء النهار واذا ما أراد أحدهم بيع بعض سلعة كالحطب والماء وما أشبه ذلك لا يجروء على القرب من منزل القافلة بل ينادى على سلعته من بعيد، واذا رغب أحد الحجاج في شراء شيء دعاه اليه دون التقرب من المنزل ، خشية أن يضيع على أحد الحجاج شيء من متاعه فيتهم به . لان الحكومة ضمننت لكل قبيلة حدودها فاذا فقد بعض الحجاج شيئا كلفت القبيلة باحضاره او ضمان ثمنه. (٢)

(١) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ٧١/٢٠ .

(٢) محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ١٧٩ .

وصف الطريق فيما بين مكة والمدينة :

تتجه قوافل الحجاج من مكة الى المدينة بعد مدور امر الشريف بسفر الحجاج منها ، ولا يكون مدور امر الشريف الا في الاسبوع التالي بعد نزولهم من عرفة . (١)

تسير القوافل في واحد من اربع طرق الى المدينة المنورة علي حسب تبعية المقوم والجمالة وهذه الطرق هي : الطريق السلطاني والطريق الفرعي والطريق الغاير، والطريق الشرقي ، ويذكر البتنوني (٢) : ان الطريق السلطاني هو أحسنها سيرا وأكثرها ماء فاذا قامت القافلة منه خرجت من باب العمرة وسارت الى الشمال الغربي ، وتمر على المحطات الآتية :

وادي فاطمة : وبه ثلاثون ميلا جارية شديدة العذوبة يأتي ماؤها من السيول التي تنزل من جبال الطائف والتي تتميز بمزارع كثيرة وهناك مساكن للاعراب ، ويسكن فيه عرب الاشراف من ذوى حسين وذوى غالب ويسكن في المنطقة التي بينه وبين مكة الى بحرة بنو لحيان . (٣)

عسفان : من وادي فاطمة الى عسفان اثنتا عشرة ساعة و٥٥ دقيقة وبها بئر عسفان ، وهناك ثلاث آبار أخرى عذبة الماء وتنسب احداها الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتسكن بها قبائل بشسر وحرمان . (٤)

(١) البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢٠٦ .

(٢) المعذر السابق ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٣) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ٣٧١/١ ، ١٩٩/٢ ، والبتنوني ، الرحلة الحجازية ص ٢٠٩ .

(٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ١٤٨/١ ، وما بعدها ، وابن جبير ، ص ١٦٢ ، وابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٢٠٠/٢ ، والبتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢٠٩ ، وانظر أيضا البلاذري ، معجم معالم الحجاز ١٣٩/٦ - ١٤١ .

خليص : من عسنان الى خليص سبع ساعات وبها بئر التفلة وماؤها غزير، ويسكنها قبائل زبيد، ويقرب منها واحة بها مياه جارية، وفيها بساتين ونخيل . (١)

القسيمة : من خليص الى القسيمة تسع ساعات، وهي قرية على البحر مساكنها أكواخ صغيرة، وماؤها من الحفر التي يخزنون فيها ماء الأمطار وأهلها من زبيد، ويشتغلون في الغالب بصيد البحر، وبها سوق وبئر (٢) ومنها يتجه الطريق الى الشمال .

رابـغ : وهي قرية على البحر الأحمر تبعد عنه مسيرة سابعة، وهي مجتمع طرق ثلاثة : الجنوبي منها يتفرع الى فرعين : أحدهما الى مكة، والآخر الى جدة، والشرقي الشمالي يتفرع الى فرعين : يسمي أحدهما بالطريق الغربي، والثاني بطريق الغابر وكلاهما يتجهان الى المدينة،

والشمالي يسمى الطريق السلطاني ويتفرع عند مستورة الى فرعين : الشرقي منهما يسمى بالطريق السلطاني " ملف " والشمالي يسمى بالطريق السلطاني فقط وكلاهما يتجهان الى المدينة،

ومن الفرع الشمالي طريق الى ينبع، وبها ١١٦ منزلاً وه مساجد و ١٠ حوانيت، و ١٠ مزارع، وسوق، وقلعة ولها سور وسبعة أبواب، وأما أهلها فهم من زبيد يتعيشون على صيد الأمداف وغيرها. (٣)

(١) المصادر السابقة، وأنظر أيضا البلاذري ١٤٩/٣ - ١٥٢.

(٢) ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين ٢/٢٠٢، البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٠٩.

(٣) ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ٢/٢٠٢، البتنوني، الرحلة الحجازية، ص ٢٠٩.

مستورة : من رابغ الي مستورة عشر ساعات ،وبها علي اليسار اكواخ وبشر،
وهناك بشر أخرى في الجهة الشرقية الي مسيرة نصف ساعة ،وتوجد
بها حفائر كثيرة. (١)

وقال البتنوني (٢) : ومنها طريق الي بدر ،الي الصغراء يسمونه
الملف ،ويسكن هذا الطريق قبائل صبح في بدر،والأحامدة فصي
الصغراء .

بشر الشيخ : من مستورة الي بشر الشيخ ثلاث عشرة ساعة ،قال ابراهيم رفعت (٣)
وبمخطة بشر الشيخ سوق .
وقال البتنوني (٤) : وتسكنها قبائل صبح .

ديار بني حصاني :

وسماها ابراهيم رفعت (٥) : ب " بشر ابن حصاني " من بشر
الشيخ اليها ست ساعات ،وقال : وهناك سوق عظيم ،وبيوت وآبار
ويسكنها صبح والحوازم . (٦)

الحمراء : وهي قرية بها عين عذب وفيها بساتين ونخيل ويسكنها الحوازم ،
ومنها ينشني الطريق الي الشمال الشرقي . (٧)

الجديدة : وهي قرية ،ماؤها عذب ويسكنها قبائل الحوازم ،والأحامدة ومنها
يميل الطريق قليلا نحو الشرق . (٨)

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٢٠٣/٢ .

(٢) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠ .

(٣) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٢٠٣/٢ .

(٤) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠ .

(٥) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٢٠٤/٢ .

(٦) البتنوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٠ .

(٧) المعدر السابق .

(٨) المعدر السابق .

بئر عباس : ويسكنها جانب من الحوازم وصبح والأحامدة ، وماؤها قليل ، ومنها
يميل الطريق الى الشرق قليلا .

ثم بعد ذلك ذكر البتوني محطة (بئر درويش) مع ان ابراهيم رفعت^(١)
ذكر فيما بين محطة (بئر ابن حصاني) وبين (بئر درويش) محطة
واحدة وهي :

خلص : وقال : من بئر ابن حصاني الى خلس احدى عشرة ساعة وبخلص
بئر ، وسوق وكثير من اللصوص .

بئر درويش : من خلس الى بئر درويش اربع عشرة ساعة يسكن في هذه الجهة
قبائل الأحامدة والرحلة^(٢) .

آبار علي : ويسكنها قبائل موف وعمرو وماؤها غذب وهي علي مسافة نحو خمسة
كيلومترات من المدينة المنورة ويترك فيها القوافل شقاداتهم
وسحاليهم .^(٣)

(١) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٢/٢٠٤ .

(٢) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ٢/٢٠٥ ، والبتوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢١٠ .

(٣) المصدران السابقان .

الطريق الفرعي :

والطريق الفرعي يبتدىء من رابع متجها الي الشمال الشرقي ويمر علي
المحطات الآتية : (١)

- * وادى حرشان .
- * نقر الفار : وهو مخبر ضيق منحدر تمر منه الجمال جملا ويسكنه
بنو سالم .
- * بئر رضوان : وماؤها عذب .
- * ابو ضباع او ام ضباع : وماؤها عذب ويسكنها بنو عوف .
- * الرياض او وادى الريان : وماؤها عذب وشجرها كثير ويسكنها بنو عمرو .
- * الغدير: وفيه مجرى ماء .
- * وادى المعظم : ماؤه عذب .
- * بئر الماشي : ماؤها حلو ويسكنها عوف .
- * آبار علي .
- * المدينة .

طريق الغايير:

وطريق الغايير يبتدىء من رابع أو من مستورة ويقطع جبل الغايير الذي الشمال وهو أقل هذه الطرق مسافة ، فإذا وصل المسافرين الي الغايير معد من من عقبة عالية تشرف على هاوية عميقة طريقها ضيق جدا بحيث لا يسح الا دابة دابة ، وهذا الطريق خطر في معوده وهبوطه وخصوصا على الركاب ، ومع ذلك تسير فييه الدواب بسهولة لانها متعوده عليه ، ومسافة المعود الى ظهر هذه العقبة لا تقل عن ست ساعات ، ويسكن الغايير ومنحدراته قبائل اللهبة ومسروح ، وهذا الطريق يمسونه الطريق المديني لأن أهل المدينة يستسهلونه في حجة لقريه في فيركبون هجنهم او حميرهم أو خيلهم ويسيرون فيه قوافل ، ولهم منازل ينزلون فيها حيث يكون الماء ويقيمون بها ريثما يأكلون ويعلمون ثم يستأنفون السير الي مكة . وكثير من الحجاج الأقوياء الخفاف الأثقال وخصوصا من المصريين كانوا يهحبونهم من المدينة الى مكة ، او من مكة الى المدينة عقب أيام التشريق مباشرة وينتظرون بالمدينة حتي اذا جاءت القوافل اليها انصرفوا معها الي ينبع . (١)

(١) السبتشوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

الطريق الشرقي :

والطريق الشرقي يخرج من مكة من باب المعلي ويتجه الى البياضية ثم يسير في طريق شمال طريق مني ويتجه الى الشرق ويمر على المحطات الآتية :

بئر البشارد : وهي بئر عظيمة مطوية بالحجارة المنحوتة ، وبجوارها بئر أخرى مردومة (١)

وادي الليمون : ويكثر فيه شجر الليمون والنارنج وفيه ماء جار ينزل اليه من جبال الهدى ، وبها سوق باعته من مكة ، ومنازل بنيت في أحضان الجبال ، ومنها يتجه الطريق نحو الشمال . (٢)

الحفاير : مياهها عذبة وقريبة من سطح الأرض . (٣)

بركة سمرة : لا ماء فيها مدة الصيف .

بركة الملاح : (حارة) ماؤها غزير وعذب وبساتينها كثيرة .

الحبيسط : او (القيعة) .

وذكر ابراهيم رفعت (٤) بعد محطة (الحفاير) المحطات التالية :

محطة البركة :

تقع في المحطة بركة تسمى ببركة زبيدة عملت لها القنساوات المائية لاستقبال مياه الأمطار ، يسكن في هذه المنطقة قبائل عتيبة أما المسافة فتقدر باحدى عشر ساعة وربع من الحفاير .

(١) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ٣٧٠/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ٣٧٣/١ ، والبتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ٢١٢ .

(٤) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ٣٧٤/١ .

محطة الغدير أو المكر والمكير:

وبهذه المحطة مياه كثيرة والمسافة بينها وبين " حادا " ساعة ونصف .

محطة الهضاب :

لا ماء بها ، والحطب قليل ، وبها سوق تباع فيها جمال .

سفينة : أو (سفينة) :

وبها نخل وآبار عذبة وهي قرية صغيرة أبنيتهما بالطين المكس بعضها فوق بعض يسكنها نحو ٤٠٠ نسمة وبها حوالي ١٠٠ نخلة صغيرة وكبيرة ، وقليـل من شجر الليمون وشجر الطرفاء وفيها ٣٦ بئرا . (١)

السويرجية : (السويرقية) :

قرية يسكنها سادات من بني حسين وبها آبار ومزارع كثيرة .
والطريق من سفينة الى قبالة السويرجية سهل رملي الا بعض بقاع فيه ،
وبه مجموعة من البرك تجمع فيها ماء المطر . (٢)

الحجيرية :

ويبعد عنها الماء بنحو ربع ساعة ، وبها ست آبار عذبة المياه . (٣)

غرابية :

أو غراب ، فيها مياه كثيرة علي عمق ذراع او ذراعين من سطح الأرض .

(١) ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ، ١/٣٧٤ .

(٢) المعدر السابق .

(٣) المعدر السابق ١/٣٧٨ .

والطريق سهل واسع جباله متناثبة وأرضه مستوية تصلح للزراعة. (١)

الغدير:

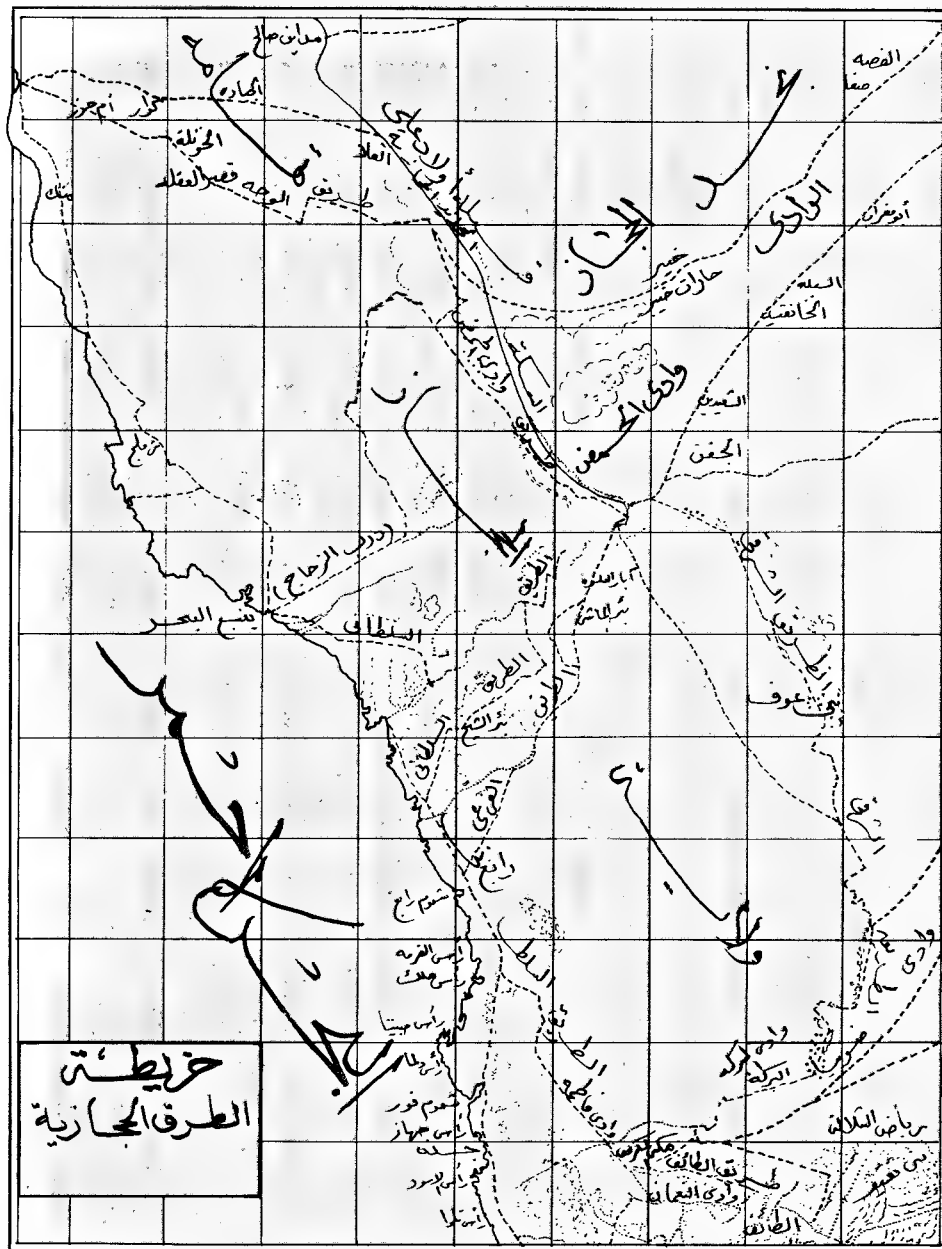
أو الحنك ،وبعضهم يكتبها الحنق ، وفيها بركة كبيرة تملأ من مياه الأمطار ،والطريق أكثره سهل عظيم الاتساع مستو صالح للزراعة ،وفي منتهاه عقبة ذات معود وهبوط وتعاريج كثيرة تدانت فيها الجبال ومحطة الغدير فيها بركة مبنية طولها ١٠٠ متر في عرض ١٠ أمتار وعمق مترين أو يزيد وهي في حجر الجبل وبجوارها مياه أخرى . (٢)

سيدنا حمزة:

المدينة المنورة ،والطريق من الغدير حجري معب المسلك وكسان يعلو تارة وينحدر تارة أخرى . (٣)
وعربان هذا الطريق من الزيود (٤) واللهبة (٥) وعتيبة (٦) ومطير (٧) والرحلة . (٨)

وهم أبعد الاعراب عن الحضارة .

- (١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٣٧٩/١ ،والبتوني ،الرحلة الحجازية ،ص ٢١٢ .
- (٢) المعدران السابقان .
- (٣) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ،٣٧٩/١ .
- (٤) الزيود : شيعة ينسبون الى سيدنا زيد بن علي زين العابدين ومن عوائدهم انهم لا يختتنون بل يسلخون جلد عانتهم وقصبيهم ويمون من جراء ذلك منهم خلق كثير ،واطفال مكة يعيرونهم بذلك .
- (٥) اللهبة مشهورون بالغدر والخيانة .
- (٦) ، (٧) هما من اكبر قبائل بلاد العرب قوة ومنعة واكثرها عددا وامتنها شجاعة ،وغيرهم لا يلبسون الا المئزر ،ونسأوهم على جانب عظيم من الشجاعة وقد بلغ من المرأة العتيبية او المطرية انها تسمك بذيل الفرس وهو يعدو وتجرى معه ثم تغط علي ذيله بيدها وتقذف بنفها فوق ظهره ،وهي كذلك تركب الجمل في عدوه .
- (٧) ، (٨) عرب الرحلة لا يقيمون في محل واحد بل تراهم كما يشير اليه اسمهم متنقلين وراء الكلاء من مكان الى آخر .





شكاوى الحجاج عن المشاكل التي عانوا منها أثناء رحلتهم الى بيت الله الحرام:

بعد البحث في المراجع التاريخية عن شكاوى الحجاج وجدنا أنها تنحصر على الرسوم التي كانت تؤخذ منهم عند وصولهم الى الأقطار الحجازية، وعلى أجور الجمال التي كانت ترتفع أحيانا وتنخفض أحيانا على حسب مطاعم الأمراء والولاة، وعلى تعدييات الأعراب أثناء سفرهم الى المدينة المنورة والعودة منها، وعلى سوء معاملة المطوفين للحجاج .

وقد كتب بعض هؤلاء الحجاج مقالات عديدة في بعض الصحف المأدرة في العالم الاسلامي .

وقد نقل ابراهيم رفعت (١) بعض هذه المقالات مع تصرفه في عباراتها ، واليك ما نقله منها:

" جاء في العدد ٤٢٣٠ من جريدة المؤيد المأدرة في ٢٣ محرم سنة ١٣٢٢ هـ (٩ ابريل سنة ١٩٠٤م) مايلي:

(عريضة مفتوحة لجلالة سيدنا ومولانا الخليفة لسعادة صاحب الامضاء).

علا الفجيج ياأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين فملاً الآفاق من حجاج بيت الله الحرام ومن الذين يتألمون لهم من المسلمين وغير المسلمين من أهل الشفقة والمرحمة يا امام الهدى وظهير الحق، إن الأيدي الطاهرة التي بسطتها الحجاج الى السماء في بيت الله حول الكعبة للدعاء بنهرك قد قطعها الأمـراب ورموا بها على الأرض تقطر دما يقرأ منه الغادى والرائح حزوف (واخليفتـاه) بل قطعها ياأمير المؤمنين عون الرفيق وأنصاره ممن في دار الخلافة طمعا في

(١) ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين ٧٥/٢ ومابعده .

دار الخلافة طمعا في المال من أجرة الجمال .

يا أمير المؤمنين قد حار الناس وجدير بهم ان يحاروا لأنهم يعدون أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين تقي وإيمانا ويعتقدون أنه خبير بما فسي الشرق والغرب ويعلمون أن كلمة ينطق بها جلالتة تجعل الحجاج يسرون ليلا آمنيين بين تلك النجاد والوهاد أفرادا وأزواجا ولهذا قد زاغ بعض الجهال فقالوا: أن هذا مقمود ليشتهر بين الناس من المنتسبين الى بيت الرسالة ماتراه وتسعمه من هذه المخزيات فتشتمز منهم النفوس وتعتقد أنهم لا يعملون شيء فيستريح خاطر جلالة سيدنا ومولانا من تلك الكلمة التي يكررونها أنا فأنا وهي (الائمة من قریش) ولكن الحقيقة الخالصة هي أن عون الرفيق وصاحبه وجدا من تشبث الحكومة المصرية في التشديد على الحجاج في السفر الى الحجاز ينبوعا لا ينضب في تكذيب ما يرد على العتبة العليا من صادق الأخبار في أحوال الحجاج السيئة باستكابهم أشياءهم ما أرادوا من الأراجيف .

يعود يا أمير المؤمنين حجاج البيت الى بلادهم وقد فقدت الأم ولدها والزوج زوجها والولد أمه والزوج زوجه والغني ماله والفقير شيابه ويزيد علي ذلك كله خجلهم من الذين كانوا يحذرونهم سوء هذا المنقلب .

يا أمير المؤمنين ان الناس يقولون ان أعظم ألقاب الشرف والفخر لجلالتكم ولآبائكم خلفاء الاسلام وسلاطين العالم انكم خدام الحرمين الشريفين فكيف تسفك دماء من قعدهما لاكمال قواعد دينه وهما من الله في مهدة جلالتكم .

قد أعيتني يا أمير المؤمنين الحيلة في هذه الحادثة وأعيت غيري من عبيدكم المخلصين لوجود هذه الأسوار المنيية حول القصر المعمر التي بناها عون الرفيق وأشياعه فبعثت بهذه العريفة مفتوحة وهو ذنب عظيم ولكن السكوت

على هذا الأمر الفظيع أعظم فاخترت أخف الذنبيين وأنا واقف موقف الخضوع ألتمس
العفو والمغفرة .

عبد مملوككـرى

ابراهيم المويلحـى

وجاء في العدد ٤٢٣٤ الصادر في ٢٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ من الجريدة نفسها
تحت عنوان " الخطر على الاسلام " مايتي بعد الديباجة: (١)

" خير ما يهذى المسلم لأخيه الدعاء وقد فعلت وأرجو من الله سبحانه
وأن يعينكم ومن نحا نحوكم من المخافيين وأرباب الأقلام على القيام بالواجب
تلقاء ما ألم بحجاج بيت الله في هذا العام من خطر وأصابهم من فيم وفـسر
وأني وغيرى من المسلمين لنألم أشد الألم لما أصاب اخواننا الحجاج وكيف
لا نألم والدماء تسفك وأموال تسلب ومعونات تهتك فتنبذ بالعراء وكل ذلك كان
أمانة في حمي بيت الله الحرام فخاب الأمل في الأمانة ووقعت الخيانة مـن
المؤمنين عليها وكانت الشكوى من شريف مكة مثل الشكوى من أعراب أجلاف غلاظ
الأكباد قساة القلوب يزعمون أنهم مسلمون والاسلام من أعمالهم براء .

السيد الشريف هو الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدى على رغبة
منه واختيار ما وجب عليه لدينه وسلطانه وقومه وليس هو ذلك الأمر بالفسـاد
وقطع الطريق التدافع المسلمين عن زيارة بيت ربهم أملا في نيل ذهب ذاهب وفـضة
منقفة ومتاع غرور ولا يدري أنه بما امر يجني على نفسه وعلى ذريته بل وعلى
أهل دينه وأنه بما يسلب وينهب وأشياءه وأعوانه كأنما ينادى بتشهير سلطانه
ويعلن عجز دولته عن تأديب أعرابه وحراسة الأمن في جزيرة العرب وكأنه يدعو
بذلك دول أوروبا التي لها رعايا مسلمون ان تحتج للتدخل في شؤون الجزيرة
بحماية رعاياها الحجاج فتُرسل كل عام جيوش تنزل الجزيرة تخبر أحوالها وتعمل

(١) ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين ٧٦/٢ وما بعدها .

على اختلاق الاسباب لاحتلالها وهناك البلاء الطام والداهية المدلهمة للإسلام وأهله .

فلماذا يعبر المسلمون على الأذى ويرضون بوجود طاغية في ظل الكعبة
يظلم الناس باسم خدمتها وينهب أموالهم ويسفك دماءهم يزعم أنه ابنهـــــــــــــــــا
الواجب احترامه .

لماذا يرضى المسلمون أن يكون القائم على حراسة الكعبة وحجاجها
رئيس طعام طغاة فهلا اتفقت كلمتهم واكتتبوا بالمال واتخذوا لهم جندا يستنزل
هذا الظالم العاتي من سماء جبروته او على الأقل يهيئون جيشا يخرج مع الحج
في كل عام الى تلك المقاوز فيبدل خوفها أمنا ويضرب على أيدي العتـــــــــــــــــاة
الظالمين .

وقد يكون هذا متعسر الحصول او متعذره ولكن يسهل على الخليفة الأعظم
وهو خادم الحرمين الشريفين وماحب الجيوش الكثيرة أن يرسل الى أرض الحجاز
كل سنة من جنوده ما يحفظ الحج والحجاج ويجعلهم في مأمن على أنفسهم وأموالهم
وأعراضهم ، ألم يكن بلد الله الذي يقمده من مسلمي الأرض طراً مثل مقدونيا
التي عبثت بها مشات الألوف لتخفر الأمن تحت المقيع وفوق جليد الثلج؟ اذا
ضاعت مقدونيا او استقلت او خسفت أرضها بمن فيها أتضر بالدولة كما يضرها
تخريب الحرمين ؟ وهل سلطة الخلافة المقدسة تغار على معاليــــــــــــــــك الأورام
أو البلغاريين القاطنين بمونستير أو سلانيك ولا تغار على سراق المسلمين
ومظالمهم الذين يقعدون بيت الله ليؤدوا أقدس الفرائض الدينية ؟ ولا يخفي
علي الصحفيين أن الجرائد ملاذ الناس في أمثال هذه الحوادث المدلهمة وهم
أعلم الناس بما ينجم عن الفوضى في أرض الحجاز من المفار الجسيمة فاستعرخوا
أقلامكم في وجه ذلك الطاغية المقيم في مكة اطلبوا من أمير المؤمنين مولانا
السلطان توجيه عنايته لبلاد العرب التي بمنزلة الشريان في جسم الدولة والقلب

من جسد الأمة الإسلامية ولا أمان لهما من الاصابة فيه الا بتجهيز جيش يمتد علي طريق الحج في كل عام ليحفظه ويحفظ السكان من عبث العابثين وظلم الظالمين .

محمود أنيس

جاء في جريدة المؤيد أيضا في العدد ٤٢٤٥ الصادر في ١١ صفر سنة ١٣٢٢هـ ما يأتي تحت عنوان : (الحجاج الهنود) : (١)

نعرب هنا بعض ما نشر في الجرائد الهندية الإسلامية التي تصدر باللغة الاوردية عما أصاب حجاج بيت الله الحرام هذا العام .

جاء في جريدة (وكيل) التي تنشر في بلدة (امرتيسار) من أعمال الهند ما يأتي في رسالة بعث بها أحد الحجاج الهنود من مكة بتاريخه فبراير سنة ١٩٠٤م.

" قد توجد في الجهات البربرية التي لا يزال أهلها في طور الهمجية بلاد يظلم فيها الناس ويسامون الخسف ولكننا لوفتشنا في كل بقاع المعمورة علي بقعة يصاب فيها عباد الله بكل أنواع المظالم والعنف والاستبداد وسوء المعاملة بعث ما يعابون به في مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام ما وجدنا لها نظيرا (واحسرتاه) يهجر الحجاج بلادهم ويفارقون بيوتهم وأولادهم ونساءهم وأموالهم ويكابدون ما يكابدون من وعاء السفر ومتاعب المحتجرات الصحية عن طيب نفس ورضا خاطر حيا في الثواب وطلباً للأجر من الله مؤملين أنهم متي وصلوا الى مكة فقد آن لهم أن يستريحوا وتطمئن نفوسهم ولكنهم لا يدلوون أرض الحرمين حتي ينقض عليهم الأعراب سلبا ونهبا وقتلا ويسومونهم سوء العذاب اللهم اننا نعرف أن التمريح لكل هذا مضر بنا مغيح لعزتنا ملوث لشرف آبائنا لأنه يسري العالم الأجنبي كيف أصبحت البلاد الإسلامية المقدسة ولكن ما الحيلة وقد ادلهم الخطب وبلغ السيل الزبي وطفح الكيل وقد توجد أمور لا يصح اظهارها ولكن لا يمكن اخفاؤها بحال من الأحوال .

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٧٨/٢ وما بعدها .

وكنّا نظن ونسمع في الهند ان الأعراب هم أمل البلاء وسب المظالم
في بلاد الحجاز فما راعنا الا ما علمناه وعرفناه من أن كبار رؤساء المسلمين
الذين بيدهم الحل والعقد يساعدون بل يحثون علي تلك المظالم وما أدراك
بهذا الفرعون (هكذا لقب الهنود شريف مكة عون الرفيق) الذي جعل في مكة
شركة تجارية مشتركة أقام نفسه رئيسا لها واتخذ أمضاها من عماله ومن
المطوفين ووكلائهم في جدة وغيرها وغرضهم سلب الحجاج أموالهم بكل وسيلة
من الوسائل . كان للانجليز قنصل في جدة يهتم براحة الهنود ويمنع وقسوع
الأذى عنهم والآن يظهر أن القنصل الجديد الذي دعاه الشريف الى مكة
وزوده بالهدايا وملا فاه بالنعم يتغاضى عن رعايا دولة بريطانيا حتي سلبت
أموال الهنود وقطعت أيديهم وتركوا للجوع والعري والموت الزوال ، اللهم
رحمك .

وكتبت جريدة (وطن) الغراء التي يعدها محمد ان شاء الله في
لاهور مقالات متعددة وحملت علي قنصل الانكليز المذكور انفا حملات شديدة
ومما جاء في تلك الجريدة : ان عمال الشريف في جدة يأخذون الأموال جبرا
وظلما من الهنود بحيث لا يسمح لأحد منهم بمبارحة ذلك الشجر حتي يدفع
للمطوفين مالا كثيرا وبلغت أجرة الجمل في جدة الى مكة ٣٣ روبية (الروبية
سته قروش ونصف صريحة) مع أنه لا يعطي لماحب الجمل أكثر من ٥ أو ٦ روبيات
وأشار السيد محمد مسعود الحق أحد أعيان الهنود بجمع نقود من الهنود
المسلمين لارسال وفد يحمل عرائض الشكوى الى جلالة السلطان ونشر رأيه هذا
في جريدة وطن ليرى رأى اخوانه المسلمين وكتب في جريدة (بيسة أخبار)
كلام طويل بهذه النغمة وعلى تلك اللهجة .

وكتبت جريدة المؤيد في العدد ٢٥١ الصادر في ٢٩ صفر سنة ١٣٢٢ هـ ما يأتي تحت عنوان: (الحج هذا العام): (١)

عاد ركب المحمل المعمرى الشريف بسلام وعاد معه كثيرون من فضلاء المعمرين الذين رافقوه ذهابا وايابا وقد شرح لنا بعضهم النصب السدى قاسوه في سفرهم والتلاعب الذى قام به الوالى والشريف، وقد قال لنا أحدهم ان الشريف ليس ملوما لأنه بدوى لا يفهم معنى المسؤولية وواجب النظام كما يفهمها رجل تركي عالى المقام مثل دولة راتب باشا والسبي الحجاز وربما كان الشريف لا يفهم الا أنه من آل البيت وان كل ما للبيت فهو له لأنه سيد الجميع فما على الذين يحجون البيت الا أن يخضعوا لأوامره ومشيشته كيفما كان الحال، وعلمنا من أن طريق الطريف معبة وعرة كثيرة الغابات الملتفة والصوان المحدد قليلة المياه شاسعة المراحل حسنتي أنهم كانوا يقطعون بعض المراحل في ٢٢ ساعة ثم يجدون الماء قليلا والمرحلة التالية قريبة من الأولى في المسافة وكان سعادة أمير الحج وخضرة رئيس حرسه وبقية ضباط الحرس لا ينامون في الأكثر الا على ظهور خيولهم وقد لبثوا مرة نحو ٥٠ ساعة لم تذق أجفانهم فيها طعم الكرى .

والخلاصة أن طريق الطريف أصعب الطرق الى المدينة وأكثرها أمنا لأنه لا يوجد من يسلكها من الأعراب ومنذ ٣٠ سنة مر منها المحمل المعمرى لأسباب قفت بذلك ثم عدل عنها بتاتا ولم يكن سفر المحمل من هذه الطريق الا غشا من حكومة الحجاز لأن الارادة الشاهانية كانت صدرت لوالى الحجاز بأن المحمل المعمرى يجب أن يسافر الى المدينة من اي طريق شاء: فبلى الوالى بواسطة نائبه في جدة أمير الحج هذه الارادة يقتضي سفر المحمل

(١) ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين ٧٩/٢ وما بعدها.

من طريق الطريف فلما وصل المحمل الى المدينة بعد قطعه هذه الطريق في تسعة أيام علي الحال الآنف ذكرها اطلع سعادة أمير الحج على صورة الارادة الشاهانية عند محافظ المدينة فاذا بها لا تعين طريق الطريف ولكن مع ذلك اضطر السي الرجوع من طريق الطريف لأن الجمال مستأجرة لها ولا يسمح لها أعراب الطريق الأخرى بالمرور فيها وقاس ركب المحمل في الأياب مثل ما قاس في الذهاب من المتاعب وسيأتي على تفصيلات أعم في موضوع الحج نلفت بها نظر حكومتنا المصرية ولذولتنا العليا لما يحمل في أرض الحجاز خصوصاً بعد ما ثبتت أن حكومة الحجاز تحرف الارادات السلطانية وتقلبها قلباء وثبت أيضاً أنها تبلغ الإدارة العظمي أشياء لا حقيقة لها.

شكوى حجاج جاوه :

وجاء في جريدة اللواء المادرة في ١٨ شعبان سنة ١٣٢٣ هـ (١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٥ م) تحت عنوان :

" شكوى حجاج جاوه من المطوفين بالحجاز " مايتي : (١)

بعث الينا أحد الفقلاء في جاوه المقالة الآتية قال : اننا معشر الجاويين قد تراكمت علينا المعائب حتى كادت قلوبنا تنفطر لما نكابده من المظالم الفادحة والغرامات الباهظة عند حجتنا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، فنرفع شكوانا الى عالم النجوى ليخلصنا من هذه البلى طالبين أهل الانصاف وكل من يتصف بالرحمة أن ييسرأف بنا معشر الجاويين الفقفاء القادمين أداء فريضة الحج . بعد أن أذهبنا الكثير من عمرنا في تحصيل العدة لأدائه :

ذلك اننا معشر الحجاج من الجاويين تعودنا من قديم الزمان اذا وملكنا الى جدة أن نسأل عن اى شيخ من مشايخ الجاويين ليكون دليلا لنا فيما يتعلق بأمورنا فيقابلنا وكيل ذلك الشيخ أو هو نفسه ان حضر، وينزلنا في منزله ويستأجر لنا الركائب الى مكة بما قسم الله ويأخذ منا فسخي مقابلة خدمته وسكننا منزله أجرا مناسبا واذا وملكنا الى مكة قابلنا ذلك الشخ وأتباعه وهيئوا لنا منزلا تحمل أمتعتنا اليه وأضافونا يوم دخولنا ويؤخذون من كل واحد منا حق الضيافة رايلا ونعفا ويخدموننا مدة لبثنا بمكة فيما نحتاج اليه، ثم يذهب بنا الشيخ الى المدينة المنورة بنفسه أو وكيله ويقوم بخدمتنا نظير أجر يتقاضاه منا كما أنه يقوم بكري الجمال اللازمة ولا يزال على ذلك الى أن نرجع الى مكة علي أحسن حال ، ثم يذهب

(١) ابراهيم رفعت ،مرآة الحرمين ٨١/٢ ومابعدها .

بنا الى عرفات ويجهز لنا الطعام والخيام بلوازمها ويطعمنا يوم عرفة وأيام مني ويأخذ على كل شخص منا ريالين للطعام والخيام والخدمة والمنزل في مني أيضا ، ثم بعد اذ انا ، المناسك ينزل بنا بنفسه أو وكيله الى جدة وينزلنا الى الباخرة ويأخذ منا صاحبها باسم (البخشيش) بغعة ريسالات وأجرة الباخرة يومئذ خمسة وعشرون ريالاً تارة وسبعة وعشرون ريالاً تارة أخرى وبقي الأمر على هذا الى أن تولي الشريف عبد المطلب بعد وفاة الشريف حسين فخرج شقي من أشقياء مشايخ الجاوه يومئذ وهو ابراهيم العراقي البنا وسعى عند الشريف عبد المطلب لتقسيم بلادنا بين مشايخ الجاوى المقيدة اسماؤهم عنده في نظير أجر معلوم يتقاضاه من كل منهم وأقلل ذلك عشرون ليرة ، ومن يومئذ ابتدأت المظالم علينا معشر الجاويين خاصة وعلي بقية الحجاج عامة وكل يوم تنمونمو الزرع في الربيع ، وكان كل حاج مقهورا على الدخول في حظيرة شيخ جهته فعارت بلادنا كأنها ميامنة لهؤلاء المشايخ وصاروا يتصرفون فينا تصرف الملاك في أملاكهم وسقطت حرمتنا التي كانت لنا حتي اذا أردنا الاجتماع بأصحابنا وأقاربنا المقيمين بمكة نمنع من ذلك اذا كان القريب أو العاحب غير شيخ لجهتنا ، واذا أردنا أن نفعل الخير باخواننا وأصحابنا المذكورين لا نقدر عليه الا خفيصة كوصية بدل حج أو عمرة أو تهليل أو غير ذلك فيأبى الا اختعاصه بهـ اذا الجدل ، لذلك هجنا حتي كادت الفتنة تنتشر وقد رفعنا شكواثا الى حكام بلادنا فخابروا أولياء الأمور بالاستانة في شأن ذلك فأرسل جميل باشا الي مكة فأبطل تلك التقسيمات وخفت تلك المظالم يجعلنا أحرارا في اختيار من نشاء من المشايخ وبقي الأمر علي ذلك الى أن تولي راتب باشا فاتفق هو مع الشريف عون الزفيق على تأسيس قواعد المظالم وبناء أركانها القوية

فكل واحد منهما يبتدع مظلمة ويسكت الآخر عن الإنكار عليه وهكذا في كل عام وكل شهر وكل يوم .

ورجعت التقسيمات كما كانت نظير جعل جديد أقله أربعون جنيهاً — أفرنجياً ويزيد إلى المائتين والثلاث وسرى ذلك إلى جميع المطوفين ، وإمامهم في ذلك شيخ مشايخ الجاوة يوسف القطان الذي تفنن في المظالم وبرع فيهما حتى أدخل في حوزته كل الأقاليم التي يكثُر ورود الحجاج منها فكان خمس الحجاج من الجاويين في قبضته وقل المال من يد المشايخ الآخرين حتى دفع بعضهم إلى الشحادة ، ثم أخذ يعمل لأقربائه مثل ما عمل لنفسه وحرم بقية المشايخ ، فنهى وأمر وتكبر وتجبر وجمع من ذلك القناطير المقنطرة ، فأطعم منها — الأمير وأتباعه وكل من يخاف من جهته الغتنة حتى توطدت له أمور المظالم ، ولما امتنعنا عن دفع المكافأة للشريف والمشايخ جعلوها من ريان الباخرة التي تقلنا ، وهذا زادها على الأجرة وجعلها لنا فأخذ من كل حاج أحد عشر ريالاً ولما خشي الشريف مغبة الاجبار على الدخول في حوزة من لا يرغب من المشايخ أباح لنا أن نختار أي المشايخ شئنا ولكن ما يؤخذ منا يعطى لصاحب الجهة ومن دخلنا في مشيخته يتقاضي ما لصاحب الجهة ويخلق أسباباً يأخذ بها بعض المال لنفسه أيضاً فعظمت المظالم وفتحت أبوابها للأمير بعد أن كان غافلاً عنها ، فاندفع في اقتحامها وكان أمر المظالم من قبل من كاتب الأمير محمد علي وكان يعطي الأمير من الشاة أذنبا فبني منها الدور والقصور للسكنى والاستغلال وصار يفتح لنا كل سنة أبواباً أخرى للمظالم حتى كدنا نترك الحج وها نحن أولاء نفعل بعض تلك المظالم .

أولاً: يؤخذ منا عند نزولنا من الباخرة باسم الزوارق والحمالين أضعاف ما كان يؤخذ منا سابقاً.

ثانياً: عند سفرنا من جدة إلى مكة يجيء المخرج المقام من جهة الأمير فيقدر لنا ما نحتاجه من الجمال ويطلب من كل واحد منا ثمانية عشر ريالاً أو أكثر لركوبه وحمل متاعه وكل ريال واحد وثلاثون قرشاً ولا نعلم أين يعرف ذلك وقد سألتنا الجمالة عما يأخذونه من الأجرة فقال بعضهم ريالاً ونعفاً مع احتساب قيمة الريال (٢٨ قرشاً) وبعضهم قال ريالين من الريالات الطاقية.

ثالثاً: عند ذهابنا إلى المدينة المنورة نسمع المنادى ينادى (إن ابجسار الجمال إلى المدينة المنورة ذهاباً وإياباً أربعون ريالاً مجيدياً تارة، وأخرى ٤٨ ريالاً مجيدياً وكل ريال مجيدى ثلاثة وخمسون قرشاً وستة ريالات مجيدية بجنيه أفرنكي، ومشايخنا يطلبون منا على كل جمل مائة ريالاً ومشرة قيمة كل ريال (٣١ قرشاً) أو أكثر من ذلك بحسب رافة المشايخ وعتوهم والزيادة تبلغ نحو ثلاثة جنيهات على كل جمل، وقد بحثنا مع الجمال عن القدر الذي يملأ اليده فقال سبعة عشر ريالاً مجيدياً أو أقل بحسب حاجة الجمال وعدمها، وسمعنا أن الذي للشريف وأخذه من الأجرة ثلاثة جنيهات فهي أكثر مما يأخذه الجمال والباقي لا نعلم مصرقه.

رابعاً: إذا معدنا إلى عرفات يأخذ منا الشيخ حق الغيافة ليوم عرفه وأيام منى أربعة ريالات على كل واحد منا، وبعض المشايخ يأخذ خمسة ريالاً شنكواً أمني جنيهاً أو دونه بقليل، وتختلف أحوالهم باختلاف الرحمة والغلظة لأنه لا حظر عليهم في شيء ما، وكري الجمال قد يعمل إلى عشرين ريالاً، والشريف يأخذ عن كل جمل ريالاً مجيدياً.

خامساً: عند سفرنا الى جدة تزداد المظالم لكثرة المخرجين حتي أن الجمل يحسب بجمل ونصف أو جمل وربيع (والكوشان) أى الذى يأخذه الأُمير من كل جمل يبلغ ثمانية ريات مجيدية غير الأجرة، وكرى الجمل الذى يأخذه الجمال مجيدى ونصف .

سادساً: عند طلوعنا الى الباخرة يؤخذ منا شيء باسم الزوارق والحمالين وكرى المنزل، وعلى الجملة فكل حركة من حركاتنا يجعلونها مغنماً لهم وزيادة على ذلك اذا مات واحد منا فأكثر المشايخ يبتلعون ماله ان لم يكن له مطالب، فان كان، اختلفوا طرقاً لاستلاب المال كبذل الحج واسقاط الفلاة وقراءة القرآن له واشتراء عقار يوقف باسمه، ووكلاء المشايخ بجدة يأخذون من كل واحد منا خمسة جنيهاً باسم دم مجاوزة الميقات ان أحرمنا من جدة مع أننا لم نعلم أن أحداً منهم ذبحه، هذا حالنا مع هؤلاء الظلمة اذا حججنا الى بيت الله الحرام الذى يلجأ اليه المظلوم، وقد مرنا فيه الآن محط رجس المظالم وتجارة تتخذ للمغانم، ونحن على يقين من أن جلالة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم سلطان المسلمين وأمير المؤمنين هلك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى مولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان الثانى، اذا اطلع على مظلمتنا أصدر ارادته السنية برفع كل بلية عنا أدامه الله، هذا ونقسم عليكم بكل آيات الله ان تبادروا بنشر ذلك عاجلاً بعد وصول الرقيم اليكم وأن تعددوا بها جريدتكم جريدة الرحمة والرضوان جريدة رحمة الأمة المحمدية ونصرة الشريعة النبوية .

مكة في ٥ شعبان سنة ١٣٢٢ هـ .

الحاج باجودين الجاوى

البحث الثاني

الدراسة التحليلية

- * الحجاج الأفارقة .
- * الحجاج الأفغان .
- * الحجاج الهنود والباكستانيون .
- * الحجاج المعمرون الأندونيسيون والماليزيون .
- * الحجاج الأتراك المعمرون .
- * الخاتمة .

الحجاج الأفارقة :

لعل دروب الحجاج الأفارقة - ونقصد بهم كل من أتى الى مكة المكرمة من بلاد : نيجيريا والكامرون وتشاد - من أكثر دروب الحج طولاً وصعوبة ووعورة .

فقد كان على ركب الحج أن يسلك الغابات المكتظة بالحيونات المفترسة ويتسلق الجبال الشاهقة ويعبر الصحارى الموحشة المقفرة إلا من العواصف والرياح ، التي كانت تعصف بمواكب الحج ، وأن يركب البحر المليء بالأهوال والأخطار - بمراكب بدائية ساذجة ، كل ذلك جعل من رحلة الحاج الأفريقى رحلة مليئة بالصعاب والمتاعب والمشقات ، مما أضفى على هذه الرحلة قيمة معنوية كبيرة ومكانة عالية لمن يجتازها وينعم الله عليه باتمام المناسك ويعود الى دياره بخير وسلام .

ونسبة الحجاج الأفارقة المعمرين قليلة نسبياً ، وخاصة عندما نعلم أن الرحلة قد استغرقت من بعضهم تسع سنوات متتالية بسبب المشاكل والأخطار التي كانت تحف بطريق الحج ، لذلك كان من الصعب ان نلتقي بمن كثر هذه الفريضة من المعمرين ، إلا أننا استطعنا مقابلة عدد من الحجاج الأفارقة المعمرين ممن أدى فريضة الحج في السنوات الماضية وكان معظمهم قد أداها في حدود عام ١٩٤٠م وجل هؤلاء أتوا للحج من نيجيريا سالكين طريق البر للوصول الى مكة المكرمة ، لذلك سيكون وصف طريق الركب ووصف مكة المكرمة ودروبها والمدينة المستورة ومناطقها والمشاعر المقدسة أثناء وخلال تلك السنوات ومايقاربها قرباً أو بعداً .

وصف الطريق :

كانت الدواب - الابل والحمير والخيول - وسيلة السفر والتنقل للحجاج الأفارقة ، نظرا لتحملها مشاق السفر ، وخاصة الجمال التي اتخذها الحجاج وسيلة لقطع المسافات الطويلة التي كانت تخلو من مياه الشرب كالغياض والقفار ، ولرخص الأجرة المطلوبة فيها ، عن الوسائل الأخرى كالقطارات والسيارات التي كانت قليلة ، وقد استخدمها بعض الحجاج لقطع المسافات التي لا تتوفر فيها الدواب ، فكان الحاج النيجيري عندما ينوي أداء فريضة الحج يقوم بتسديد ديونه يساعد في ذلك بعض الأهل والأقارب ، ويبقى مبلغا من المال للأهل ويصطحب معه ما تبقى منه وغالبا كان في حدود ومايساوي مائتي ريال كما يقوم باصطحاب بعض الأدوية المركبة من الأعشاب معه ذلك بغرض استعمالها في الحالات الطارئة خلال الرحلة أو بيع بعضها في مكة أحيانا ، فكان يجهز أمتعته التي سيصطحبها في حقيبته من الخشب وغالبا كانت تتكون من بعض الملابس والأطعمة الجافة كالذيق والمديدة إضافة الى بعض لحوم الحيوانات التي يصطادونها أثناء سفرهم .

ثم يخرج من مدينته أو قريته ويتوجه الى احدى المدن الرئيسية في نيجيريا مثل لاجوس أو كانو لانتهاء معاملات السفر هناك مستعينا بالمواصلات المتوفرة آنذاك ، كالقطار أو الدواب وماشابه ذلك .

ثم ينطلق ركب الحجيج غالبا من تلك المدن ليتوجه الى مكة المكرمة فكان على الركب ان يقطع بعض المدن الصغيرة ليلتقي بمدينة (غايا) من مدن نيجيريا حيث يمكنون فيها فترة قصيرة ثم ينطلق الركب بعد ذلك الى (ميسو) وهي ايضا من المدن النيجيرية ، ويلاحظ على الركب عدم المكوث كثيرا داخل الأراضي النيجيرية لشوقه في مواصلة هذه الرحلة ليصل الى الديار المقدسة ثم يتحرك الركب تجاه مدينة (بوتسغوم)

ثم يعمل بعد ذلك الى مدينة (ميدغري) التي كانت ملتقى الحجاج - ومعظم الحجاج الذين أدوا الحج ثم كرروه بعد ذلك كانوا من هذه المقاطعة أو من ضواحيها وبعد قضاء فترة قصيرة في هذه المنطقة يرحل السـ (ديكور) ثم الى (بنغر) ثم الى (جامينـ) وهي الحدود التشادية النيجيرية حيث يمكث فيها الحجاج فترة تقارب الشهر في الحالات العادية وكانت تزيد على ذلك أضعافا في حالة نشوب حروب بين القبائل التي تسكن على محاذة طريق الحجاج . ثم يتحرك الحجاج الى (مسكوري) ومنها ينتقلون الى اديرى التي كان يجلس فيها الحجاج فترة تقارب الشهرين ومنها يخرجون الى افكدوا ثم الى فهول ثم يرحلون منها الى الجنينة وهي الحدود السودانية فيدخلون السودان ونظرا لتفشي الأمراض والأوبئة في تلك المناطق وخاصة تشاد كان القادمون الى الجنينة يحجزون في المحجر الصحي مدة طويلة وصلت بعض الأحيان الى أربعة أشهر، دون ان يتوقع الحجاج ذلك ، فكان يدركهم الحج وهم في الطريق ولم يعملوا الى الديار المقدسة ، وبعد خروجهم من المحجر الصحي كان الحجاج يمكثون مدة في الجنينة وخاصة عند فوات موسم الحج - الذين كانوا يفضلون اداء المناسك فيه أو اقترابه وتيقن الحجاج من عدم ادراكهم له ، فمن شارفت أمواله على الانتهاء ذهب باحثا عن موارد الرزق ليشغل في الزراعة أو أى عمل بسيط يستطيع أن يجمع منه دراهم معدودة للانتقال الى مدينة أخرى لمتابعة رحلة الحج ، ثم يخرجون من الجنينة الى النشر ثم الى أم كداده وقد استخدم الحجاج متوسط الحال في التنقل من الجنينة الى أم كدادة السيارات التي كانت متاحة ومتوفرة في ذلك الوقت ، ثم يرحلون من أم كدادة الى الهنود كما يسميها البعض أو أحـ (ليعملوا بعد ذلك الى الأبيض وهي احدى مدن السودان التي يجتمع فيها الحجاج ليستقلوا بعد ذلك القطار - ليرتاج الحجاج من عناء الطريق

وومشاء السفر فيعبر بهم القطار الى سينور ثم يتجه نحو الشمال مروراً بسوادي
مدني ليعمل بهم بعد ذلك الى الخرطوم .

فمن أحب أن يمكث فيها مكث لبحث عن أسباب الرزق وموارد العيش
لينفق بعد ذلك بسخاء في الديار المقدسة والا تابع رحلته من الخرطوم
وبالقطار أيضا الذي يتابع رحلته شمالا ثم يتجه بهم جهة الشرق ليعملوا الى
ميناء مدينة سواكن الذي يقعده الحجاج دائما ليركبوا بعد ذلك البحر قاصدين
مدينة جدة .

وبالرغم من وقوع ميناء سواكن بالقرب من بورت سودان الا أن الحجاج
الذين أجريت معهم المقابلة لم يستخدموا هذه الميناء مطلقا وانما الميناء
الوحيد كان ميناء سواكن الذي ينقلهم الى جدة لتبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية
من الرحلة وتختلف اختلافا كبيرا عن الشوط الأول .

أهم المشاكل التي كانت تواجه ركب الحجيج على هذا الطريق :

واجهت ركب الحجاج الأفارقة مشاكل عديدة أثناء هذه الرحلة الطويلة إلى الأراضي المقدسة ، فكان على هذا الركب أن يقطع أحيانا الصحارى والفيافي التي كانت تخلو من الماء العذب الصالح للشرب مما أدى بطبيعة الحال إلى وفاة بعض الحجاج نتيجة ذلك وكثرة الغبار والعواصف المليئة بالأتربة مما كان يعيق مسيرة الركب لعدم وضوح الرؤية ، وضياع الطريق في معظم الأحيان ، كما كان يسلك هذا الركب الغابات المليئة بالحيوانات المتوحشة والمفترسة وما إليها ، فكثيرا كانوا لا يستطيعون النوم وقد انهكهم التعب - خشية تلك الحيوانات بل عليهم مواصلة السير حتى طلوع الشمس ليستريحوا بعد ذلك قليلا من وعشاء السفر .

وان سلك هذا الركب طريق البحر أحيانا أخرى كانت هناك مشاكل من نوع آخر وهي تحمل الأهوال التي تعتري ركوب البحار كالعواصف والرياح التسيي تغير وجهة المراكب البدائية الصنع والمغيرة الحجم التي كان يسافر بها الحجيج ولا تقدر على مواجهة مخاطر البحر أو مواجهة الرياح والعواصف إضافة إلى مهاجمة بعض الحيتان الكبيرة لتلك المراكب الشراعية الصغيرة .

ونظرا لمرور هذا الركب على الأقاليم والقرى الأفريقية المتعددة والمختلفة في عاداتها وتقاليدها ، كانت تنشب الحروب القبلية الكثيرة بين سكان تلك الأقاليم ، فكان على الحجاج - ان لم يوجد طريق آخر أن ينتظروا حتى تنتهى هذه الحروب - والله أعلم بمدتها - ليستطيعوا مواصلة السير ، إذا لم يذهبوا ضحية لتلك الحروب القبلية .

ولعل الوقت الطبيعي الذي كانت تستغرقه الرحلة هو شهر واحد قسداً يزيد قليلا أو ينقص عنه إلا أن معظم الحجاج كان من الفقراء ومتوسطي الحال .

فالمشاكل التي كانت تواجههم وتعيقهم عن متابعة السفر كانوا يضطرون للبقاء مدة طويلة في بعض الأمكنة ويكون الحاج قد أنفق ما اصطحبه معه من المال وهو في الغالب مائتي ريال التي بقيت من تسديد ديونه والجزء الذي أبقىــــه لأهله فيبدأ البحث عن أسباب الرزق خلال الطريق لمتابعة رحلة الحج ، وغالباً ما كانوا يشتغلون في الزراعة أو البناء أو غير ذلك كما سبق .

فهذا مجمل ما كان يواجهه الحاج الأفريقي خلال رحلته هذه ولا يشعــــر بالأمان الا عندما تطأ قدماء أرض جدة استعداداً للسفر الى مكة المكرمة .

رحلة العودة والاحتفالات :

وبعد زيارة المدينة المنورة يعود الحاج الأفارقة الى جدة لينتقلوا بالمراكب المغيرة الى سواكن ويعودون من حيث أتوا وبالطريقة نفسها ، ويتحملون أحياناً المعاصب والمشقات التي تحملوها خلال رحلة القدوم .

وعندما يدخل الحاج أراضي بلاده كان يبرق الى أهله بوصوله الى مدينة كذا فيخرج معظم أهل القرية أو البلدة لاستقباله من حيث ودعوه قبل ذلك ممطحبين معهم فرساً أبيض ليركبه الحاج فرحة بقدومه وعودته بسلام ثم يتوجهون الى مسجد البلدة أو الى بيت شيخ القرية ليدعوا لهم ثم ينتقل الحاج بعد ذلك الى بيته ليستقبل المهنئين الذين يستقبلهم لعدة أسابيع أو شهر تقريباً .

وكان من عادات بعض القبائل الأفريقية ان لا يدخل الحاج الى بيته مدة ثلاثة أيام بل يبيت خارج بيته ولا يجمع زوجته الا بعد مضي شهر حتى لا يفسد حجه حسب اعتقادهم .

أما الهدايا التي كان يعطيها معظم الحجاج الأفارقة من الأراضي المقدسة فهي ماء زمزم وبعض الملابس كالغثرة والمنديل والعباءة - ليلبسها الحاج نفسه إذا عاد لبلده في المناسبات الخاصة كيوم الجمعة والعيديين - ليعرف أنه أدى فريضة الحج، كما كانوا يعطون معهم بعض التمورن من المدينة المنورة، إلا أن مشاكل الطريق من عطش وجوع حالت في معظم الأحيان دون وصول ماء زمزم والتمر إلى أهل الحجاج لاستهلاك هذه المواد في طريق العودة أثناء المحن والمعاصب التي تلم بهم .

وكان الحاج الأفريقي بعد عودته يتمتع بمكانة عالية في مجتمعه الذي يحيط به فالكل يجله ويحترمه ويقبل يديه ويطلب منه الدعاء تبركا لزيارته لهذه الأراضي المقدسة .

الحجاج الأفغان :

وصف الطريق :

يختلف درب حجاج الأفغان عن غيره من الدروب ، فهم يشتركون في هذا الدرب مع الحجاج الباكستانيين في بعض الأحيان ، وهذا الاشتراك يكون عبر الطريق البحري الذي قد يسلكه الحجاج الأفغان ، ويشتركون مع حجاج إيران في الطريق البري الذي سلكه الأفغان في معظم الأحيان .

فالذي قد نوى أداء المناسك وعزم على ذلك واختار ركوب البحر لقلّة أخطاره ومصاعبه مقابل طريق البر - كان يتوجه إلى باكستان إلى كراتشي ومنها يستقل الباخرة التي تنقله إلى جدة سالكة خليج عمان وخليج عدن ثم تدخل البحر الأحمر لتستقر في ميناء جدة الاسلامي وتستغرق الرحلة أربعة عشر يوما في معظم الأحيان .

أما طريق البر فكانت تختلف منازل ودروبه ، لأن الحجاج الخارجيين من شمال أفغانستان يختلف طريقهم عن الخارجيين من جنوبها ولابد أن يعبر الاثنان إيران إلا أن المناطق والدروب التي كانوا يسلكونها تختلف أيضا ، ويجتمع الأفغان معا في مدينة البصرة العراقية وكانت وسيلة السفر القديمة للذين يسلكون الطريق البري هي السير على الأقدام من موطنه إلى مكة المكرمة وكانت هذه الرحلة تستغرق سنة كاملة للذهاب وسنة أخرى للعودة ، ناهيك عما تحمله من مصاعب ومتاعب وما تخلده من ذكريات وأمنيات .

إلا أن الفريق البحثي لم يحالفه الحظ بلقاء أحد الحجاج المعمرين ممن أدوا هذه الفريضة سيرا على الأقدام ، ولو توفر ذلك لأمكن الاستفادة من معلومات وحقائق قد لا توجد في كتب التاريخ وغيرها .

وعادة القدوم الى الحج مشيا على الأقدام من قبل الحجاج الأفغان
 قد اندثرت عندما بدأت وسائل الانتقال المتعددة (كالسيارات والباصات) في
 الظهور تدريجيا فكان الحجاج الذين يستقلون هذه الوسائل ويسلكون الطريق
 البرى مرورا بايران سالكين مدنا عديدة فيها كمدينة مشهد ونيسابور وسامو
 وشاه رودماهي دلت وطهران وهمدان وملوى وبهذا يكونون قد امضوا داخل
 الأراضي الايرانية مدة أربعة ايام متتالية . ثم يدخلون العراق بعد ذلك
 مارين بمدينة السلام بغداد ثم يرحلون منها الى البصرة وكانت مدة سفرهم
 في العراق تستغرق يومين اثنين ثم يخرجون الى الكويت ويمكثون يوما واحدا
 ثم يدخلون بعد ذلك الى أراضي المملكة حيث يدفعهم الشوق لمواصلة المسير ولو
 أنهم شافوا على التعب والنصب لرؤية البيت العتيق فيمرون على الدمام ثم
 ينتقلون الى عاصمة البلاد الرياض ويمكثون فيها يوما واحدا ثم يرحلون الى
 الطائف وفيها تبدأ استعدادات الحجاج لدخول مكة المكرمة .

وغالبا ماتستغرق هذه الرحلة البرية من الحجاج احد عشر يوما أو اثني

عشر يوما .

ونظرا لحب الحجاج الأفغان التنقل سيرا على الأقدام مع كبر سنهم -
 كانوا يؤدون أداء هذه القريفة سيرا على الأقدام طلبا للأجر والشواب ، ولما
 اندثرت هذه العادة لاحظت الدراسة أن كثيرا منهم ينتقلون بين المشاعر -
 الحرم - منى - مزدلفة - عرفات - سيرا على الأقدام وكذلك يزورون بعض
 الأماكن الأخرى كجبل النور وغار ثور مشيا على الأقدام وكذلك الحال في المدينة
 المنورة .

مشاكل الطريق :

ان الذين أجريت معهم مقابلات وملكوا الطريق البحري لم يذكروا أنهم واجهوا أى مشاكل ويبدو من ذلك ان البواخر التي كانت تنقلهم كانت أحسن حالا بكثير من القوارب التي كانت تنقل حجاج افريقيا ولعل سبب ذلك طول المسافة بين كراتشي وجدة .

أما الذين سلكوا الطريق البري فكانت أهم المشاكل التي واجهتهم هي كثرة الثلوج الموجودة في الأراضي الافغانية والهواء البارد الذي يلفح وجوه الحجاج ، فكثيرا ما كانت قافلة الحجاج لاتسير ليلا حتى لاتغل الطريق بسبب تراكم الثلوج وتنتظر حتى الصباح ليبدأ الحجاج بجرف الثلوج الى جانبي الطريق لتتمكن السيارات من العبور ..

احتفالات العودة :

بعد زيارة المدينة المنورة يعود الحجاج الأفغان الذين قدموا للحج عن طريق البحر الى مدينة جدة لينتظروا البواخر التي ستقلهم مع الحجاج الباكستانيين الى ميناء كراتشي . وأما من قدم عن طريق البر فانه يتابع سفره من المدينة المنورة باتجاه الرياض ليعود من حيث أتى .

وعند عودة الحاج الأفغاني الى بلده يأتى أهل والأقارب لاستقباله ، وينحرفي هذه المناسبة خروفا ليوزع على الفقراء والمساكين شكرا لله وحمدا له على عودة الحاج بسلام .

ويوزع - على من حضر للسلام على الحاج - بعض حبات التمر وقطرات من ماء زمزم ، ويعطى البعض من الهدايا التي اصطحبها الحاج معه من مكة أو المدينة كالمساح والغتر وغير ذلك .

الحجاج الهنود والباكستانيون :

تتفق أقوال المعمرين الذين أجريت عليهم الدراسة الميدانية - علي أن الحج كان يتم عن طريق السير على الأقدام في أغلب الأحوال ما عدا المسافات التي تتطلب سفرا في البحر .

وكانت هذه الرحلات تستغرق من ٤ الى ٩ أشهر بحسب الحالات التي يمر بها الحاج أثناء السفر . مع التأكيد على أن هذه الرحلات لم تكن منتظمة .

وكان طريق الحاج الهندي يمر إما عن طريق (لكنهو ثم البنجاب فخير، ليصل الي بغداد ومن ثم الى أرض الحجاز ، وإما أن يسلك البعض طريق : مو - بنا ريس - بومباي - جدة .

وتغيب المعلومات الدقيقة عن أذهان المعمرين نظرا لكبر السن . فلا نجد وصفا تفصيليا للطرق مما يحرم البحث كثيرا من المعلومات عن طريق الحج الهندي .

وأقدم الرحلات التي ظهرت من خلال العينة المتوفرة . تلك الرحلة التي قام بها أحدهم عام ١٩٢٩ م ، كما يروى آخر بعضا من أطراف رحلة أبيه عام ١٨٨٠ م .

أما عن العادات المتبعة في وداع الحاج فهي لا تختلف كثيرا عن تلك التي يقوم بها المسلمون لوداع ذويهم وأقاربهم - إلا أن الأمر المميز هناك وخاصة في الماضي ان الناس كانوا يعتقدون أن الأفراد الذين سيذهبون الي الحج لن يرجعوا اليهم ..

وبعضهم كان يكتب الوصايا : ومن ذلك أنهم كانوا يؤمون زوجاتهم قبل الرحيل بأنهم ان لم يرجعوا خلال أربعة أعوام فلهن الخيار : اما الانتظار

وأما الانفصال والزواج من آخر.

ومنهم من كان يبذل جهده لقضاء دينه وإبراء ذمته من الغير، وإن كان معسرا يطلب من الدائن التنازل والسماح .

وكانت حفلة الوداع مؤثرة جدا لذلك يجتمع الأهل والأقارب والأصدقاء لوداع الحاج اعتقادا منهم أنهم يودعونه الوداع الأخير والذي لا لقاء بعده في هذه الدنيا..

وهذا يرجع في الدرجة الأولى الى تلك الحالات المعيبة التي كانت تعيشها الجزيرة العربية آنذاك .

أما المعويات والعقبات التي كانت تعترض الحاج الهندي فهي كثيرة جدا .

فقد كان المرء منهم يكبد ويتعب من أجل توفير النقود اللازمة لأداء الفريضة نظرا لحالة الفقر في أغلب الأحيان ولوجود الاستعمار الانكليزي آنذاك والذي كان يفرض عليهم ما يعيق حجهم . وبالتالي ما كان يكلف الحاج وقتا طويلا لجمع ما يعينه على الانفاق..

إضافة الى ذلك هناك وعمرة الطريق وعدم وجود وسائل النقل المريحة والمنظمة فضلا عن المتاعب والمعويات التي تنجم عن تعرض رجال العماليات وقطاع الطرق لسلب أموال الحجاج.

ولهذا كان الخوف مسيطرا على الناس، وقد كانت هذه الظاهرة مشتركة بين الحجاج بشكل عام.

وكما كان يفعل بعض الحجاج الأفارقة وغيرهم من الفقراء فان العديـد من الحجاج الهنود كانوا يعملون أثناء رحلتهم في المحطات التي ينزلون فيها لتوفير بعض المال من أجل مواصلة رحلة الحاج.

ويؤكد أغلب المعمرين أن السفر كان على ظهور الأبل وكانوا يمشون علي الأقدام بين مكة والمدينة وبقية المشاعر المقدسة . حيث يسيرون في الليل وينامون في النهار، ومن يخيد منهم الكتابة عكف على كتابة ما أمكنه من تسجيل وقائع رحلته التي قام بها ، ومن ذلك ما قام به أحدهم عام ١٨٨٠ م ذكر فيها ملاقاه في طريقه من معونات ومشقات . كما ذكر البعض أنه في عام ١٩٥٣م بنسي نصف طريق - مكة - المدينة .

أما من الماء فقد كان قليلا وشحيحا . أما السكن فقد تميز بالبساطة كذلك المعيشة كانت رخيصة ومتوفرة .

ويصف أحدهم أولئك الذين يقطعون المسافات سيرا علي الأقدام أنهم كانوا يختارون ساعات الليل لسييرهم فمنذ الساعة الرابعة الى الساعة الثانية صباحا بالتوقيت الغروبي كان الناس يسيرون وفي النهار يستظلون تحت ظلال شجرة او ينامون في ظل جبل او مغارة ، وكانوا يخافون كثيرا من قطاع الطرق وبعضهم روى قصصا مما حدث له مع أولئك اللصوص وما كانوا يفعلونه .

ووصف احد المعمرين ممن حج عام ١٩٢٩م الحرم المكي الشريف بأن مساحته كانت صغيرة بالنسبة لما عليه اليوم . كما ان سكان مكة كانوا قلة وليست هناك مغايقات أو مشاكل من المطوفين كما يحدث اليوم في بعض الحالات . وكان ماء زمزم ينزح بالدلو . كما أن مصاريف الحج كانت قليلة جدا بالنسبة لما عليه الآن .

وأكثر ما كان يفتاق الحاج آنذاك في مني مثلا . تساعد الرواشح القدرة والأوساخ ، أما الآن فقد قلت كثيرا وظهر تحسن كبير علي هذه المرافق نظرا للخدمات التي تقوم بها أجهزة الدولة . مع توجيه الشكر للقائمين علي ذلك والدعاء لهم لبذل المزيد من الجهد في سبيل الأحسن والأفضل .

أما الملاحظات العامة فيؤكد معظم المعمرين أن الفروق واضحة جدا في مجال توسيع الخدمات في الحج مع اعتراف البعض بجهود الدولة في هذا المجال ويعتبر البعض الآخر علي المسؤولين لسماعهم للمطوفين فقط دون الحاج محملين المسؤولية لأولئك المطوفين الذين يعاملون الحاج بغلظة ورداءة . مطالبين الحكومة بتصحيح أوضاع الحاج الهنود مع توجيه البعض الآخر الشكر للحكومة علي ما أبدته من تحسين في مجالات الخدمة والاستعداد التام لموسم الحج ولتوفير العناية والرعاية الصحية وغيرها مما يحتاج اليه الحاج .

ومن الذكريات التي يرويها بعضهم أنه كان في مكة عمارة كبيرة اسمها الداودية وكانت أمام باب ابراهيم وبعدها عمارة الحميدية وكذلك التكية المعمرية .

ويعترف الكثير بحسن أخلاق أهل المدينة وحبهم لهم ، وقسوة أهل مكة وغلظتهم ، بينما يؤكد البعض الآخر احترامه وحيه للجميع .

أما عن أنواع الهدايا التي كان يحملها الحاج الهندي من مكة والمدينة الي بلده فهي تلك الهدايا التقليدية التي يحملها كل حاج تقريبا كالمسح والتبر والأقمشة .

أما الظاهرة الملفتة للنظر والتي يؤكدها العديد من هؤلاء المعمرين أن الحاج كان يحمل معه وعاء صغيرا من ماء زمزم وحينما يصل الي بلده يفتح قنطريين من زمزم في دلو كبير يحوى ماء عاديا ويسقي الناس منه .

أما عن الاحتفالات بعودة الحاج فقد أكد الكثير من المعمرين أن الحاج إذا رجع إلى بلده قديما كان يحتفي به كثيرا ويقيمون له الولائم لأنهم كانوا يعتقدون أنه لن يرجع إليهم ،ولهذا فهم يطوفون به في شوارع البلدة مطوقين عنقه بعقود الزهر والورد ويحملونه إلى عمدة البلدة أو أميرها وهناك يكرمونه تكريما كبيرا ومنهم من يقرع الطبول والمزامير وقد استنكر الحجاج الباكستانيون هذه البدعة ودموها .

أما فرحتهم بعودة الطفل الحاج فهي عادة مميزة عما هي الحال عند غيرهم .

ومن الذكريات التي يوردها هؤلاء المعمرون ، أن الناس كانوا قديما يوصون الحاج بالدعاء لهم في الحرمين الشريفين .

أما اليوم فقد اختلفت الأحوال وأصبح الناس يطلبون من الحجاج أمورا مادية بحتة كالأدوات الكهربائية والمسجلات والتلفزيونات وغيرها .

المعمرون الاندونيسيون والماليزيون :

هناك عادات وتقاليد مشتركة بين الحجاج الاندونيسيين واخوانهم الماليزيين، ولشدة التشابه بينهم في هذا المجال فقد وجدت الدراسة سهولة في الحصول علي المعلومات المطلوبة وتوفر لها الوقت الكافي للحصول علي النتائج المرجوة .

وتجدر الاشارة الى ان الشعبين يلتزمان فقهيا بمذهب الامام الشافعي رحمه الله .

وتبدأ رحلة الحج عندهم فور اعلان المرء عن عزمه للسفر الي الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ، علما بأن عملية اختيار الحجاج بالقرعة لم تكن معروفة من قبل كما هي عليه الآن .

وقبل رحيل الحاج بأسبوعين أو ثلاثة يتوافد الزوار والأقارب لوداعه وتوصيته بالذعاء ، أما على جبل أبي قبيس كما هو مشهور عندهم أو على جبل الرحمة كما هي الحال عند جميع الحجاج .

وكثيرا ما يقوم هؤلاء بتقديم المساعدات العينية كالمال ومؤنة السفر للحاج ويجرى الوداع حتى سلم الباخرة بمواكب حاشدة قد تضم بعض الأحياء عمدة البلد أو عدد من أعيانها .

ومن ذلك نعلم أن وسيلة النقل المشتركة بين الجميع كانت البواخر حيث تتراوح المدة التي تستغرقها الرحلة ما بين ١٤ الى ١٧ يوما .

وقد كانت شركات البواخر الهولندية هي التي تقوم بهذه العملية نظرا لاستعمار الهولنديين لتلك الامم .

وتتفق معظم آراء المعمرين على أن المشايخ والمطوفين القدماء كانوا يتوافدون الى تلك البلاد اما بأنفسهم أو عبر وكلائهم حيث يقومون بالاعلان عن استعدادهم لتقديم الخدمات للحجاج في المشاعر المقدسة .

وتؤكد المعلومات المتوفرة أن وصول الحجاج الى ميناء جدة كسان سهلا وميسرا الا أن معظم الطرق الداخلية بين جدة ومكة والمدينة كانت غير معبدة وبالتالي كانت الرحلات الداخلية متعبة وشاقة لاعتمادها على السيارات والحافلات القديمة البطيئة . ومن بين الذكريات التي يحملها بعض الحجاج عن أجدادهم وآبائهم ممن حجوا سابقا ، أن وسائل النقل كانت تقوم في معظم الأحوال على السدواب كالابل وغيرها .

مشقات الطريق ومضاعفه :

ويتحدث المعمرون عن وجود قطاع الطرق أثناء الرحلات وهذا ماكان يشير الرعب في قلوب الحجاج فعلا عن الخوف الذي كان ينتابهم من جراء حرب اليابان والانكليز خلال الحروب العالمية الماضية والتي شكلت خطورة كبيرة على ركسب الحجاج في البحر ، فكان الحاج يودع الوداع الأخير .

ويشني المعمرون على المعاملة الحسنة التي كانوا يلاقونها من قبل المشايخ والمطوفين القدماء ، فقد أكدت نسبة كبيرة منهم أن مشايخهم على وجه الخصوص - ماعدا القلة منهم - كانوا يقومون بجل الأعباء المتعلقة بالحجاج اضافة الى تعليمهم مناسك الحج والسهر على راحتهم . وقد اختفت هذه المزايا فيما بعد .

أما عن النفقات التي كان الحاج ينفقها : فقد اختفت عما كانت عليه في السابق حيث كانت كلفة الحاج ١٤٠٠ ريال وهي كافية ، أما اليوم فلا يكفيه ٧٠٠٠ ريال . بين نفقات اقامة وهدايا .

أما عن الهدايا التي كان يحملها الحاج فتتراوح بين ماء زمزم ، والتمر
والمسباح والكوفيات والسجاد وغيرها .

كما تعرضت هذه الشريحة من المعمرين للإنجازات التي حدثت في طسرق
المشاعر والتسهيلات الأخرى فجاءت معظم الآراء مشبة على هذا الجانب .

أما عن السلبيات فقد انحصرت في عدم توفر العناية بوجبات الطعام لدى
بعض المؤسسات خاصة في منى وعرفات ومكة .

ومما يضاف الى الحسنات توفير المياه في المشاعر المقدسة في حين
أنها كانت قليلة في الماضي .

كما اشتكى البعض من مشكلة اللغة ، للتخاطب والتعامل مع المطوفيين
وغيرهم .

رحلة العودة :

أما عن رحلة العودة الى الوطن فتؤكد نسبة كبيرة من المعمرين أن الفترة
التي كان يقضيها الحاج في مكة والمدينة قد تستغرق من شهر رجب الى ربيع
الأول وبعضهم كان يتلقى العلم في المدارس الموجودة كالمولتية أو حلقات العلم
في الحرم الشريف .

أما بالنسبة لعادات وتقاليد وصول الحاج الى بلادهم فقد أكد معظم
الذين شملتهم العينة أن الاحتفال بالحاج العائد يبقى مستمرا عدة أيام ابتهاحا
وفرحا بعودته .

كما أن الحالة الاجتماعية والمادية تتحسن في معظم الأحيان حيث يقوم
المجتمع بتكريم واحترام الحاج وتقديم التسهيلات العملية والوظيفية ان أمكن
والعناية به وقد يتولى مناصب مهمة في الدولة .

الحجاج الأتراك المعمرون :العادات قبل رحلة الحاج :

قبل سنة ١٩٥٠م لم تكن الحكومة التركية قد سمحت بعد للأتراك بالحج . وكان شوق المسلمين الأتراك الى رؤية البلاد المقدسة عظيما ، لذا فما أن سمحت لهم حكومتهم بالحج حتي هب كثير منهم لأداء هذه الفريضة ، ومن لم يستطع الحج حضر الي من يريد الحج وودعه وأوصاه بالدعاء .

والعادات قبل الحج في تركيا تختلف بين المدن والقرى فحيث نجد أن أهل القرى يجتمعون عند من يريد الحج ويشيعونه الى أن يخرج من القرية ، وإمام القرية معهم يدعو للحاج وأهل القرية يؤمنون ثم يطلبون منه أن يتذكرهم بالدعاء عند الكعبة وفي عرفات وان كانت حالة الحاج المادية جيدة فإنه يقيم مأدبة طعام لأهل القرية احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة ، بينما لا توجد كثير من هذه المظاهر في المدن التركية ، ويكتفي بوداع الحاج .

الرحلة من تركيا الى جدة :

فالبية الحجاج الأتراك ، وعلي الخصوص في السنوات الأولى التي أذن لهم فيها بالحج - كانوا يستعملون البواخر للسفر الي المملكة العربية السعودية .

ينتقل الحجاج الأتراك من مدنهاهم وقراهم الي ازمير حيث يركبون البواخر المعدة لهم فتبحر بهم السفن الي ميناء بورسعيد عبر البحر الأبيض المتوسط ومن بورسعيد ينتقلون عبر القناة الي ميناء جدة ، وكانت هذه الرحلة من ازمير الي جدة تستغرق ستة او سبعة أيام .

الرحلة من جدة الى مكة :

بعد النزول من البواخر كان الحجاج ينتظرون في مدينة الحجاج عدة أيام قبل الذهاب الى مكة .

والطريق من جدة الى مكة المكرمة كانت ترابية والمواصلات كانت اما بالحافلات او بالشاحنات التي أعدت لنقل الحجاج ، وسقف الحافلات منخفض ، وبسبب انخفاضه وسوء الطريق فقد كان الحجاج يتعرضون للقفزات المستمرة التي قد تؤثر في رؤوسهم ، ولعل المأساة التي كان يعانيها الركاب من السائقين اشد ، فقد كان يعمد كثير من السائقين الى الاستراحة في الطريق ولا يواصل السير الا اذا جمعوا له مالا من الركاب ويحصل هذا مرارا .

الحرم الشريف :

المسجد الحرام في تلك الفترة لم يكن قد شهد التوسعة السعودية الاولى ، فكان محاطا بالمباني والأزقة الضيقة ، وكان الطريق بين الصفا والمروة ترابيا . والدكاكين منتشرة على حانبي المسمى ، والميلان الأخضران كانا عبارة عن عمودين من الشجر .

أرض المطاف حول الكعبة المشرفة كانت رخاما تختزن الحرارة وكان هذا يؤثر كثيرا على أقدام الطائفين وخاصة في وقت الظهيرة فمن شدة الحرارة تكاد جلود الأقدام أن تسلك .

الخدمات في مكة المكرمة :

كان نظام الطواف بالنسبة للحجاج الأتراك محددًا منذ العهد العثماني ، لكل ناحية من نواحي تركيا مطوف خاص ، لا يستطيع الحاج التركي أن يختار غيره ، وإذا حمل أن ذهب الى غير مطوفه فان المحكمة تعيده لمطوفه ويعرف

الحاج من أى بلدة أتى من جواز سفره .

كان المطوف لا يؤمن لحجابه سوى المساكن وماء زمزم فقط ، وبعض المطوفين كانوا يؤمنون أيضا المراتب والفرش ، ولم تكن الكهرباء في البيوت قد وجدت بعد ، وكذلك المراوح ، وكان الحاج يستعملون المراوح اليدوية ، وتبريد الماء كان يتم بوضعه بالجرار أو القلال المغيره وتعريضها للهواء لان الثلج كان قليلا .

ومن الخدمات التي كان المطوف يقدمها لحجابه ايضا ، أن يرسل مع كل مجموعة منهم احد غلمانه ليقوم بتطويفهم والدعاء لهم ، وكان المطوفون حريصين على ذلك من أجل أن ينالوا رضا حاجهم فيسبغون عليهم العطش والبخيش للغلمان .

كانت العلاقة بين المطوف والحاج وثيقة وطيبة ، وكان المطوفون يلبنون رغبات الحاج بقدر استطاعتهم ، فقد كان الحاج أغنياء وأهل مكة فقراء ، فبقدر حاجة المطوف الى مال الحاج كان يقدم لهم أحسن الخدمات المستطاعة .

الخدمات في المشاعر:

لم يكن المطوفون يجهزون خيومهم في منى وعرفات في وقت واحد وانما ينصبون الخيام في عرفات وبعد غروب شمس يوم التاسع يفكونها ويحملونها الى منى .

لم تكن توجد حمامات لقضاء الحاجة في منى وعرفات ، لذا كان الحاج يتخذون السور المحيط بالمخيم مكانا لقضاء الحاجة فتنتشر الروائح الكريهة وتؤذى الناس .

وقد تحدث أحد الحجاج الأتراك (شريط ١٤٦ تركي ١-١٣/١٢/١٤٠٤هـ) وهو الحاج حسين قلعللي عن عاصفة شديدة هبت في عرفات في موسم سنة ١٩٥٠م حيث امطرت السماء ثلجا كبيرا مثل حبة الليمون وقد تعجب الحجاج الأتراك من عظم الثلجة ففي بلادهم بلاد البرد والمطر لم يشاهدوا ثلجا بمثل هذا الحجم واستمر هذا المطر الذي يسميه الحاج حسين رجما نحو أربع دقائق وقد تضرر كثير من الحجاج من هذا الثلج وما تزال آثار هذا الضرب علي رأس الحاج المذكور (اشار في المقابلة الى موقع ذلك من رأسه).

وذكر انه مات من حراء ذلك نحو عشرين حاجا.

الرحلة الى المدينة المنورة:

الطريق بين مكة والمدينة لم تكن معبدة ،والحافلات على الوصف السابق في حافلات حدة مما تؤثر الاهتزازات داخل السيارات على الحجاج وتسبب لهم بعض الجروح.

وفي سنة ١٩٥٣م كانت الطريق قد عبت الى رابع فقط وبعد ذلك فالتريق ترابية،وتسير الحافلات ضمن قوافل ويخشي على من يسير بمفرده أن يضل أو يتيه في الطريق الصحراوي وقد حدث أن تاه أناس ساروا بمفردهم. ولاحظ الحجاج كثرة السائلين والمتسولين في رابع. وبدر أي فسي المحطات التي تقف فيها السيارات للراحة وان أماكن الراحة كانت وسخة والماء قليل لأهل الوضوء.

الخدمات في المدينة المنورة:

يجمع الحجاج الأتراك على أن معاملة أهل المدينة أفضل من معاملة أهالي مكة وأنهم اناس لطيفون وعدد الذين يعرفون التركية أكثر ممن يعرفونها بمكة .

وطرق المدينة وأزقتها ضيقة لا يستطيع الباص أن يصل الى كل نقطة فيها . والماء في المدينة أيضا قليل مما لا يساعد الحاج على الاغتسال قبل الذهاب لزيارة المسجد النبوي فيكتفي بالوضوء .

العبادات بعد العودة من الحج:

بما أن الأتراك كانوا قد منعوا من الحج فان عودة الفوج الاول من الحجاج الى بلادهم قد لقي ترحيبا كبيرا فقد خرج الناس لأماكن بعيدة عن القرية راكبين على الخيول والحمير وماشين على الأقدام كبارا وصغارا ونساء مكبرين مهللين ترتفع الدعوات من أفواههم ويعانقون الحجاج ويهنئونهم بسلامة العودة .

وبيت الحاج التركي يصير معدا لاستقبال الزوار الذين يقدمون للتهنئة ويقدم لهم ماء زمزم وتمر فيشربون زمزم باكين طالبين من الله تعالى ان يرزقهم الحج ، وقد تستمر التهنئة لأكثر من شهر . والميسورون من الحجاج يصنعون وليمة ويدعون أهل القرية للاكل منها .

الهدايا:

أما الهدايا التي كان يأخذها الحجاج الأتراك من البلاد المقدسة فاولها ماء زمزم والتمر . ثم المسابح وسجادات الصلاة والحناء والطاقيات بعضهم أيضا يشتري أقمشة وشاي وكل حاج حسب استطاعته ووفرة المال لديه ، وفي تلك الفترة كانت الليرة التركية تعادل الريال السعودي .

مكة المكرمة كما وصفتها عينة الدراسة المختلفة :

كانت مساحة مكة المكرمة في ذلك الوقت صغيرة جدا ، تنتهي عند القسلة من جهتها الشمالية ، ومقبرة المعلاة من الجهة الأخرى ، ومن جهة الجنوب المسفلة التي تكثر فيها الوديان والجبال والأشجار التي تحيط بها من كل مكان وكأنها بعيدة عن مكة .

وبيوت مكة كانت قليلة ومعظمها حول الحرم المكي الشريف وما بعد عن الحرم فهو في حي المسفلة .

أما الحرم المكي الشريف كما ورد وصفه علي لسان العينة فقد كانت مساحته أقل بكثير من مساحته الحالية ، وبئر زمزم كانت ظاهرة وفوقها قبتها ، والمقامات الأربعة كانت موجودة على حالها ، وتحيط بالحرم المدارس الكثيرة التي وقفت للتدريس جوار الكعبة ، كما تحيط به بعض البيوت ، مما كان يحجب رؤية الحرم من مسافة بعيدة .

أما المشاة والمروء فكانتا خارج الحرم وبدون سقوف والأرض تمتليء بالرمال ويتخللها سوق يغص بالبائعين ويعج بالمشتريين فلذلك كان يختلط الحجاج مع البائعين والمشتريين مما أدى الي ضياع بعض الحجاج عن ركبهم وقاflتهم .

وقد أشارت العينة الى التحسينات والانجازات التي أدخلت على عمارة

الحرم وعمارة بيوت مكة •

كما تعرض بعض أفراد العينة الى وصف من وانها كانت مغيرة ولا يوجد بها سوى مسجد الخيف والجبال تحيط به من كل جانب وان الأوساخ والقمامات التي يرميها الحجاج - خاصة يوم النحر - لاترفع مما أدى الى كثرة الذباب، وتفايق الحجاج وساعد على انتشار كثير من الأوبئة بينهم •

وصف جسدة :

يصف بعض المعمرين جدة في ذلك الوقت بقوله :

ان بيوتها كانت قليلة ومعظمها من الطين واللين وبعضها الآخر من الأحجار الرملية وعمائرهم قديمة وفيها بعض النوافذ الخشبية لا يزال بعضها حتى اليوم - ويحيط بجدة سور يغلق ليلا ويفتح نهارا له أبواب عديدة - ماتزال أسماء هذه الابواب الى اليوم كباب مكة وباب شريف الخ •

ونظرا لقلّة بيوتها فلا يوجد بها فنادق والحجاج ينتقلون منها مباشرة اما الى مكة المكرمة أو المدينة المنورة •

وكان لكل بلد مندوب في جدة يقابل الحجاج فيها لتأمين طرق الانتقال الى مكة • وقد وجد بها كما يذكر أحد المعمرين ماكينة لتنقية مياه الأمطار حتى يشربها الناس تسمى " كوى كنداسة " والمياه في جدة كانت قليلة ، اشتراها الحجاج حتى للوضوء أيضا وبلغ سعر الجالون الواحد أربعة ريالات أو ما يعادلها •

طريق مكة - جدة - المدينة :

كان ركب الحجيج أول ما يعمل الى ميناء جدة يستأجر السيارات العامة أو الدواب المتوفرة لينتقل بها الى مكة المكرمة .

وهذا الطريق الذى تسلكه الدواب أو السيارات القديمة كان ضيقا وعرا فيسـر معبد لكثرة الجبال التى تحيط به ومروره بالوديان والمخارى الكثيرة والمتعددة وتستغرق الرحلة عبر وسائل التنقل هذه يوما كاملا . وقد أشار بعض الحجاج أن شق طريق جدة قد بدأ وانتهى نصف الطريق تقريبا عام ١٩٥٣ م .

وقد سلك هذا الطريق سيرا على الأقدام كثير من الحجاج الأفغان وغيرهم واستغرق المسير فيه ثلاثة أيام ، وبعد أداء مناسك الحج كان على الحجاج العودة ثانية الى جدة لاستئجار السيارات أو الدواب (الخيول والحمير والابل) للانتقال الى المدينة المنورة وعادة كانت تستغرق هذه الرحلة على الدواب أربعة أيام لئلا يئسوا ، ومن لم يجد ما يستأجر به الدواب كان ينتقل الى المدينة المنورة سيرا على الأقدام حيث تستغرق هذه الرحلة منه ما يقرب من اثنى عشر يوما كان خلالها يجتمع الحجاج الذين يودون السفر سيرا على الأقدام ثم ينطلقون باتجاه المدينة المنورة يسرون في الليل ويستريحون معظم النهار في ظل شجرة ان وجدت أو ظل جبل . لقضاء حوائجهم واعداد طعامهم . ويظلون كذلك حتى يبلغوا المدينة .

وكان الحجاج الأفارقة من أكثر الحجاج مكوثا بها حيث يبقون بها شهرا أو أكثر بينما كان يغادرها معظم الحجاج .

الخاتمة :

بهذه المورة الشاملة والكيفية المميزة التي تناولها البحث تتفتح أهمية الدراسة الخاصة بتاريخ الحج من طريق المعمرين سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار مدى أهمية التاريخ الشفاهي في نقل الوقائع والأحداث التاريخية والاقتصادية وغيرها والتي غابت وتغيب عن بعض المؤرخين أو التي أهملتها كتب التاريخ المعروفة .

ومن هذا الجانب تعتبر هذه الدراسة تأميلا للمعلومات التاريخية المتعلقة بالماضي وربطها بالحاضر والتي تساعد على تفادي السلبيات المتعلقة بخدمة ضيوف الرحمن واستدراك ماينبغي القيام به حيالهم . وهو بالتالي يعتبر سجلا لمن أراد الرجوع اليه والافادة منه .

ويلفت فريق البحث النظر الى أن الدراسة تعتبر رائدة استكشافية لعمل أشمل وأوسع بحيث يضم فيما بعد الجزء الثاني الخاص بحجاج العرب المعمرين .

فنظرا لقرارة المادة العلمية التي ستنج عن هذا العمل ولما يتطلبه هذا الجانب من التعرض للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها أبان الفترات التاريخية السابقة ، فان فريق البحث لايفوته أن يذكر جهود حكومة المملكة العربية السعودية بخصوص أمن الحج . فلا يستطيع القارئ أن يعرف أهمية استتباب الأمن في الحجاز ، ومقدار النجاح الذي حققتة حكومة المملكة العربية السعودية في هذه المنطقة مالم يطلع على الوضع الذي كانت عليه شبه الجزيرة العربية قبل دخول الحجاز تحت ادارة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - ، فقد كان الأمن مفقودا في الحجاز ، وكان على الانسحاب الذي يريد الانتقال من مدينة الى أخرى ، أو الحاج الذي يأتي اليها لأداء

فريضة الحج . أن يضع أمام عينيه تعرضه لكافة الاحتمالات التي تنشأ عن فقدان الأمن ، ولكن الوضع تغير تماما منذ أن قامت المملكة العربية السعودية حيث ساد البلاد الاطمئنان والاستقرار للمرة الأولى منذ قرون عديدة .

ولقد استطاعت الحكومة السعودية تحقيق الأمن الشامل بالعدل وبث ووعي الفضايل الدينية والمدنية بين أبناء الشعب السعودي حتى صارت مشات الألسوف من الحجاج الذين يأتون الى المملكة في موسم الحج كل عام ، لا يتعرض أحد منهم لأي مكروه ، بل قد يحدث أن يفقد بعضهم في فمرة الزحام الهائل حافظة نقوده أو ساعته أو شيئاً من متاعه ، ومايكاد يبلغ دواثر الأمن بذلك حتى يجد اهتماماً بالغاً فوراً بسرعة البحث عما فقده ولاتمضى ساعات معدودة الا ويتسلم ماقدّمه .

وهذا جانب من أهم جوانب الأمن التي تقوم بها جهود وزارة الداخلية ولقد انشأت القوات الموسمية من أجل راحة الحجاج والسهر على راحة وسلامة أمن الحجاج طوال فترة بقاءهم في الأراضي الاسلامية المقدسة .

ومما تجدر الإشارة اليه أن ماتقوم به حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز نحو تحقيق أمن وراحة الحجاج لهو يفوق الوصف وأن الواجبات التي تقدم من جميع الأجهزة الحكومية وتجنيد هذه القوة البشرية والغرض الاساسي هو راحة وسلامة الحاج وتأمين كافة الخدمات اللازمة له فـ في مختلف المجالات سواء فيما يتعلق بالاسكان والنقل أو خدمات الاتصالات والخدمات الصحية أو توفير المياه النقية مع توفير الأمن الغذائي . كل ذلك ليتفـرغ الحاج تفرغاً كاملاً لأداء فريضة الحج بكل يسر وسهولة واطمئنان .

وهنا لايسعنا الا أن نتضرع الى الله سبحانه وتعالى بأن يمد الله في عمر خادم الحرمين الشريفين وكافة العائلة المالكة ذخراً للاسـلام والمسلمين .

المراجعـــــــــــــــــ:

- ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، اوفست بدون تاريخ ومكان .
- الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد : اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : رشدى الصالح مجلس ، مطابع دار الثقافة ، ط ٣ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٨٧ م ، مكة المكرمة .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت .
- ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : د. طلي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ابن جبير : رحلة ابن جبير ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ابن خردادبه ، أبو القاسم عبید الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة العثني بالأوفست .
- ابن دريد : جمهرة اللغة ، دار المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدکن ١٣٤٥ هـ .
- ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر : الأعلاق النفيسة ، لندن ، مطبعة بريسل ١٨٩١ م .
- ابن ظهيرة : الجامع اللطيف في فعل مكة واهلها وبنائها البيت الشريف ، ط ٥ ١٣٩٩ هـ ، المكتبة الشعبية .
- ابن فهد ، نجم الدين بن عمر : اتحاف الوري باخبار أم القرى ، تحقيق : فهد محمد شلتوت ، دار المدني ، جدة ، من مطبوعات معهد البحث العلمى واخياء التراث الاسلامى - جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى .
- ابن مجاور : تاريخ المستنير ، تصحيح اوسكرلوفغرين ، مطبعة لندن ، بريسل ١٩٥١ م .

- ايوب هبيري : مرآة الحرمين ، المطبعة البحرية ، اسطنبول ، ١٣٠٣ هـ (باللغة التركية) .
- البشنوني ، محمد : الرحلة الحجازية ، مكتبة المعارف ، الطائف ، ط ٣ .
- تاريخ الحج من وادي نهر السند باكستان ، من تقارير مركز ابحاث الحج بجامعة أم القرى ، مطبوع على الآلة الكاتبة .
- التجيبي ، القاسم بن يوسف السبتي : استفاد الرحلة والافتراب ، تحقيق : عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس .
- الجزيري ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم الانعاري : درر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .
- الخريس ، أبو اسحاق : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة تحقيق : حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٩ هـ .
- السيوطي ، جلال الدين : ربح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين تحقيق : عدنان أحمد مجدر ، دار الوفاء ، جدة .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الطبري تاريخ الملوك والرسل ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مكة المكرمة .
- عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، دار تهمامة ، جدة ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- عز الدين بن قهد ، عبد العزيز بن عمر بن محمد بن قهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهد شلتوت ، من مطبوعات معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- القاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- الفاسي ،تقي الدين محمد بن أحمد : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق : فؤاد سير ،مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة ،١٣٨١هـ/١٩٦٢م .
- الفاكهي ،أبو عبد الله محمد بن اسحاق : أخبار مكة ،تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ،ط ١ ،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ،مكة المكرمة .
- القرطبي ،محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ،دار احياء التراث ،بيروت ،١٣٧٢هـ .
- القطبي : كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ،غتنغة ،١٢٧٤هـ ،روائع التراث العربي .
- الكردي ،محمد طاهر بن عبد القادر : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ،مكتبة النهضة الحديثة ،ط ١ ،١٣٨٥هـ .
- مالكي ،سليمان عبد الغني : طريق ركب الحاج العراقي ،الدارة ،العدد الثاني ،السنة التاسعة ،المحرم ١٤٠٤هـ اكتوبر ١٩٨٣م .
- محمد أمين المكي : الآثار العبرورة والمشكورة لسلطين آل عثمان فسي الحرمين الشريفين (باللغة التركية) ،المطبعة العثمانية ،دار سعادات ،١٣١٨هـ .
- محمد علي مغربي : الملامح الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ،دار تهامة ،جدة ،ط ١ ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- محمد عمر ربيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ،من منشورات نادى مكة الثقافي ،ط ١ ،١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ،تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،دار المعرفة ،بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ناصر خسرو : سفرنامه ،رحلة ناصر خسرو الى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري ،نقلها الى العربية : د. يحيى الخشاب دار الكتاب الجديد ،بيروت ،ط ٢ ،١٩٧٠م .

- ورشيلاني ، الحسين بن محمد : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار
المشهورة " بالرحلة الورشيلانية " ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،
لبنان ، ط ٢ ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .